Confidential

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون – تيارت-
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: العلوم الإنسانية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي
حديث ومعاصر
موسومة بـ

علاقات الأمير عبد القادر مع المغرب الأقصى وأثرها على المغرب العربي مع نهاية المقاومة

إعداد الطالبتين:
* بوشامة فاطمة
* شبيشب نور الهدى

إشراف الاستاذ:
* مداح عبد القادر

أعضاء لجنة المناقشة

أ.زاهي .... رئيسا
أ. مداح عبد القادر..... مشرفا ومقررا
حرشوش كريمة .....مناقشا

السنة الجامعية:
1435- 1436هـ الموافق لـ 2014- 2015

دليل المختصرات المستعملة	
تر	ترجمة
تق	تقديم
تح	تحقيق
تع	تعريب
ج	جزء
ق	قسم
م	مجلد
س	سداسي
ط	طبعة
شر	شرح

إهداء

اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضى

نهدي عملنا المتواضع إلى أعز ما في الوجود

الوالدين الكريمين، علي، رقية حفظهما الله

وأطال في عمرهما؛

إلى نور عيني وسر سعادتي في الحياة

أحمد وأبو بكر؛

وإلى من ساعدني كثيرا في عملي هذا كأدي يوسف وإلى أختي الغالية نوال؛

وإلى عائلتي كبيرهم وصغيرهم وبالأخص عصافيري الصغار

خالد، فاروق، علي

وإلى من كن عائلتي الثانية اللواتي شاركنني الحلو والمر في آسيا كبير

نور الهدى، مسعودة، زهرة، سعاد، وردة؛

وإلى كل الأصدقاء والصديقات في الحياة.

فاطمة

إهداء

الحمد لله على ما وصلنا إليه

إلى أعز ما في الوجود إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب حتى الممات

إلى من ملكت عقلي وروحي حتى الشتات

إلى الغالية أمي: مباركة ؛

إلى صاحبة القلب الطيب والحضن الدافئ: خضرة ؛

إلى من كان سندا لي في كل الأحوال وخير قدوة في الحياة وعلمني مكارم الأخلاق

والدي الغالي: عثمان ؛

إلى الذي منحني العطف والحنان: ناصر ؛

إلى قرة عيني محمد والمدلل كريم والغاليان محمد ومراد

إلى أخواتي: عائشة، ربيعة، حورية، أم الخير، فتيحة، نوال ؛

إلى من شاركتني إنجاز هذا العمل وتحملت معي الصعاب فاطمة ؛

إلى رفقاء الدرب ومن حملته أسماؤهم في قلبي أصدقائي:خالد ،محمد؛

إلى من ساعدني على إنجاز هذا العمل: محمد، حكيم ، محمد، ؛

إلى من شاركتني الدرب: زهرة، وردة، مسعودة، سعاد، فاطمة حليمة ؛

إلى من كان سندي وعلمني حب الثبات والصبر خالي أحمد ؛

إلى عائلة: عبو، شبيشب، طالب ؛

إلى كل من فارقتني أيامهم وحتما ستجمعني بهم الذكريات، إليهم أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع.

نور الهدى

كلمة شكر وعرفان

نفتح هذه المذكرة باسم الله العلي القدير الذي هدانا بنوره وأعاننا بفضله على إتمامها وجعل العسير من هذا العمل يسير ونصلي ونسلم على المصطفى البشير النذير عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

أمـا بعد؛

مصداقا لقوله تعالى: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾

إن كان على المرء أن يذكر لذي الفضل فضله فإننا نتوجه بالشكر والعرفان والتقدير والامتنان إلى كل أساتذتنا الأجلاء الذين علمونا الحرف والكلمة والجملة والنص، راجين من المولى سبحانه وتعالى أن تجعل ما غنمناه منهم صدقة جارية تضاف إلى صحائف حسناتهم

ونخص بالشكر الأستاذ مداح عبد القادر الذي لم يبخل علينا بنصائحه وإرشاداته طيلة مدة إنجاز هذا العمل؛

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى اللجنة التي قبلت مناقشة المذكرة وضحوا من ثمين وقتهم لقراءة صفحاتها وتقييمها بميزان العارفين القادرين راجين أن ينال هذا الجهد تقديرهم

مقدمة

تعرضت الجزائر كغيرها من البلدان العربية إلى الاحتلال والاستغلال من طرف الاستعمار الفرنسي، وكانت مطمعا للعديد من القوى الاستعمارية وهذا نظرا لزخمها وثرائها بالعديد من الخيرات وخير دليل على ذلك، فرنسا التي استقرت في البلدان العربية ومنها الجزائر كما ذكرنا سابقا فقد اعتبرتها جزء لا يتجزأ منها وسلطت على شعبها شتى أنواع التعذيب واعتبرته مجرد خادم في أرضه، وحاولت محو مقوماته الشخصية، وهويته العربية، ونشرت المسيحية في أوساطه.

وهذا ما جعل هذا الشعب الغيور على وطنه يثور ضد الاستعمار والعبودية، فقد تصدى له بالعديد من المقاومات التي كان روادها جزائريون أحرار، يتمتعون بميزات تجعلهم قادة يستحقون التقدير والاحترام والاعتماد عليهم في أحلك الظروف لأنهم رسخوا تاريخهم بالنور والنار وحفروه في الأذهان ومن بين هؤلاء: الأمير عبد القادر الجزائري الذي تزعم المقاومة المسلحة 1830 واستمرت مقاومته سبعة عشر عاما (1830م/1847م).

فقد واصل نضاله رغم تعرضه العديد من الصعوبات التي كان الهدف منها ضرب المقاومة والخضوع للاستعمار كما استطاع بناء الدولة الجزائرية الحديثة، وإقامة العديد من العلاقات مع الدول لأنها تعتبر جانبا هاما يضفي الشرعية القانونية على دولته من خلال اعتراف الدول به فوضع بذلك فرنسا أمام الأمر الواقع خاصة وأن الظروف آنذاك كانت مهيئة نسبيا أمام الأمير نتيجة للصراع بين مختلف الدول الاستعمارية.

فسعى جاهدا إلى مسايرة الأحداث والتفاعل معها، فأتيحت له إقامة صلات دولية واسعة، ونتج عن نهاية مقاومته أثار عديدة انعكست سلبا على بلدان المغرب العربي، موضوع دراستنا الموسوم بـــ: علاقات دولة الأمير عبد القادر بالمغرب وأثرها على المغرب العربي مع نهاية المقاومة.

ومن دوافع اختيارنا لهذا الموضوع أهميته التاريخية المتعلقة بأهم فترة من فترات المقاومة المتمثلة في مقاومة الأمير عبد القادر وأهم الأحداث خلال سنوات الجهاد في سبيل الله والوطن.

إضافة إلى حب التطلع والمعرفة والفضول لمعرفة خبايا الموضوع الذي نتناوله، فقد استطاع الأمير أن يحمل نفسه مسؤولية الدفاع عن الوطن الأم وهذا ما جعل هذه الشخصية الفذة تنال اهتمامنا الكبير ومنه نطرح الإشكالية التالية : كيف تمكن الأمير من تأسيس

دولته في ظل وجود المحتل؟.

وما طبيعة العلاقة بينه وبين المغرب في ظل صراعه مع الاستعمار الفرنسي؟

وما مدى تأثير هذه العلاقة على بلدان المغرب العربي بعد سقوط دولة الأمير عبد القادر؟

ولدراسة هذا الموضوع ومعالجته للإجابة على إشكالياته والتطرق إلى الحقائق التاريخية وتحليل الوقائع ومناقشتها متبعين المنهج الوصفي في استعراض وتقصي التطورات والأحداث التاريخية ومظاهر العلاقات السياسية واعتمدنا كذلك المنهج التحليلي الإستنتاجي في دراسة النصوص والوقائع ومناقشة المواقف السياسية واستنتاج الأحكام والخصائص العامة التي واجهت علاقات دولة الأمير عبد القادر وأثرها على المغرب العربي وذلك من أجل معرفة سياسة وخصائص من أجل معرفة سياسة وخصائص علاقات هذه الدولة الحديثة ؟

وقد اعتمدنا في هذا العمل على مجموعة من المراجع التي اهتمت بالموضوع، من حيث دراسته وتحليله من جميع النواحي والاتجاهات، من بين هذه المراجع نذكر منها: باللغة العربية كتاب: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر بجزئيه الأول والثاني الذي أفادنا في سرد بغض الوقائع والأحداث التي ميزت تلك الفترة لمحمد بن عبد القادر، وأفادنا في معرفة بعض خبايا مقابلاته وأحاديثه مع الأمير عبد القادر إضافة إلى مذكرات الأمير عبد القادر الذي يعتبر مخطوط له قيمة خاصة، كتبه في السجن سنة 1849م يتناول السيرة والشخصية للأمير ووجدنا صعوبة في قراءة الكثير من فصول هذا الكتاب لاستعماله العبارات الشعبية الدارجة والمصطلحات العامية.

وكذلك كتاب التاريخ العسكري والإداري الأمير عبد القادر الجزائري لأديب حرب الذي أفادنا في التعرف على المعارك والنظام الذي تأسس عليه جيش الأمير عبد القادر ونظرا لكثرت وتعدد الكتابات حول الأمير عبد القادر فقد غطت جميع الأصعدة والميادين في الصغيرة والكبيرة منها.

وقد اعتمدنا على مرجع باللغة الفرنسية لـــ: Colonel Paul Azan. L'Émir Abd el Kader 1808-1883. Du fanatisme musulman au patriotisme français ومن بين المجلات التي اعتمدنا عليها : مجلة الأصالة.

وعليه قسمنا موضوعنا إلى: مدخل ومقدمة وفصلين وخاتمة.

تناولنا في المدخل الأوضاع التي شهدتها الجزائر عند مبايعة الأمير إضافة إلى بداية المقاومة.

جاء الفصل الأول بعنوان: حياة الأمير عبد القادر وبناء الدولة الحديثة، واندرج تحته أربعة مباحث: الأول بعنوان: المولد والنشأة، والثاني بعنوان: مبايعة الأمير الأولى والثانية، الثالث بعنوان: بناء الدولة الحديثة إضافة إلى الجيش، والرابع: معاهدات الأمير وبعض معاركه.

أما الفصل الثاني تناولنا فيه: علاقات دولة الأمير بالمغرب وأثارها على المغرب العربي مع نهاية المقاومة: وتضمن أربعة مباحث، الأول: علاقات الأمير بالدول الأجنبية، والثاني: علاقات الأمير بالدول العربية، والثالث: نهاية المقاومة وتناولنا فيه: استسلام الأمير عبد القادر، والرابع: أثارها على المغرب العربي في كل من: الجزائر، تونس، المغرب عبارة عن نتائج تؤصلنا إليها بعد الدراسة والتحليل.

وختمنا بحثنا بخاتمة كانت مجموعة من الاستنتاجات حول الموضوع، واعتمدنا مجموعة من الملاحق التي ساهمت في إثراء وتدعيم الذي ندرسه.

ومن بين الصعوبات التي واجهتنا في دراسة هذا الموضوع الذي يعد كغيره لا يخلوا من الصعوبات نذكر: التشابه الكبير في معظم المراجع، إضافة إلى اختلاف بعضها عن الأخر في طريقة سرد وترتيب الأحداث والوقائع.

فبعض المراجع تدرس الموضوع دراسة ملمة بجميع النواحي والجوانب المختلفة، أما البعض الآخر تكون الدراسة فيه ظاهرية لا تتطرق إلى جوهره لذلك وجدنا صعوبة في معرفة صحة ودقة بعض الأحداث والوقائع، وفي بعض الأحيان لم نجد إشارة إلى مسار المقاومة قبل وبعد سقوط الزمالة.

بوشامة فاطمة

عبو نور الهدى

2015/05/24

المدخل

لم تكن الأوضاع السياسية في الجزائر عند مبايعة الأمير عبد القادر، على أحسن ما يرام، إذ تمكن الفرنسيون من النزول في سيدي فرج 14 جوان 1830م، وبالتالي دخول العاصمة في 05 جويلية، واستسلم الحاكم العثماني سريعا، فأصبحت ولاية الجزائر، وجزء من ولاية التيطري تمثل قاعدة الاحتلال ومقعد الآمال للاستعمار في المرحلة الأولى للغزو، أما ولاية قسنطينة التي تتمتع بتحصينات فإنها ستظل وقتا من الزمن بمنأى عن أطماع الاستعمار، بل إن هيكل الإدارة التركية وعلى رأسها باي قسنطينة، سيستمر حتى سنة1873م. [1]

وفي مقابل ذلك كان إقليم وهران أكثر تعقيدا، وتحريجا بالنسبة للفرنسيين، فإلى جانب القبائل الكبرى والقوية التي كانت تمارس نفوذا في عهد الأتراك في بعض المدن، مثل معسكر، وتلمسان،كان إقليم وهران عرضة لتيارات الأطماع السياسية،التي تحوم به من كل جانب، كما تمكنت القوات الفرنسية من احتلال المرسى الكبير سنة1831م، ولكن تركت وهران وشأنها، بسبب عدم تحديد أهداف سياسة الاحتلال، ومع ذلك فإن موقف القوات الفرنسية في الإقليم لم يكن موقف المتفرج، بل موقف من يعد العدة ويحيك المؤامرة، وينتظر الفرصة السانحة لتوسيع قاعدة الاستعمار[2].

ولعل أخطر التيارات التي واجهتها في وهران، هو التوسيع المغربي(المغرب الأقصى) الذي اتخذ تلمسان قاعدة لنشر نفوذ سلطات مولاي عبد الرحمن في الاتجاه الشرقي إذ بعد الفراغ السياسي الذي ظهر نتيجة لانهيار الإدارة التركية ،التجأ الكرغوليون إلى المشور وتحضروا له، وأما الحضر الذين سبق لهم أن استنجدوا بمولاي سليمان سلطان المغرب الأقصى لحمايتهم عند قيام الثورة الدرقاوية سنة 1806م، فقد بعثوا بوفد في أوت 1830م، بإيعاز من بن نونه إلى عامل السلطان عبد الرحمن في وجدة أبي العلاء الجراري وقدموا إليه رغبتهم للانضواء تحت حكم المملكة، لكن

[1] – سعد الله أبو القاسم ،الحركة الوطنية الجزائرية ، ق 1،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر، 1992،ص:37،

[2] – بلعربي خالد، تاريخ الجزائر لحديث والمعاصر، دار الألمعية، ط1، 2010، ص: 32.

السلطان ظل يشترط موافقة الباب العالي وأمام إلحاح التلمسانيين، وخوفا من ترك تلمسان تقع ضحية للغزو الفرنسي، أرسل السلطان المغربي حملة عسكرية إلى تلمسان على رأسها 500 جندي وضابط، بقيادة مولاي سليمان الذي دخل تلمسان في 7 نوفمبر1830م[1].

وقد دفع الحكومة الفرنسية إلى رفض ذلك، لكن المغرب من جهته لم ينسحب من تلمسان بل واصل حملته إلى وهران التي كانت لا تزال تحت سلطة الباي، فحاصرها خلال الفترة الممتدة من 8 إلى 22 أكتوبر 1831م، ثم اتجه بعد ذلك إلى معسكر حيث أعمل السيف في حاميتها العسكرية التي تتكون من 200 رجل، وقام ابن الحري بدعم حكمه هناك، فنظم الجباية (الضرائب)، وقام باستخلاص الزكاة، وامتدت سيطرته على القبائل حتى مليانة والمدية، وأمام هذا الوضع بدأت فرنسا تضغط عسكريا على المغرب لإخراج قواته من الأراضي الجزائرية، وهو ما جعل السلطان مولاي عبد الحفيظ يتراجع عن مواقفه بالسيادة على تلمسان أمام الضغط الفرنسي، وسيقتصر دور السلطان فيما بعد على تقديم المساعدة المادية (السلاح) للمقاومة الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر[2].

بانسحاب قوات المغرب الأقصى، ورحيل باي وهران، وجلاء الحامية التونسية اختفت ثلاث تيارات سياسية مهمة، وانحصرت المجابهة في وهران بين الفرنسيين والجزائريين، فأما قوات الاحتلال فكانت تعاني من نقص في عدد رجالها، وخصوصا بموقعها في المرسى الكبير وفي وهران وانتظار التطورات والتعليمات من الحكومة المركزية، أما الجانب الجزائري فقد كان يملك مواردا ورجالا ومعرفة بطبيعة الأرض،ولكنه كان ينقصه التنظيم والتدريب، ويسود صفوفه الانقسام بين القبائل والتنافس على الزعامة،وهي عوامل أضاعت على المقاومة الجزائرية فرصة ذهبية لطرد الغزاة وإقامة

[1] –سعد الله أبو القاسم ، المرجع السابق، ص: 58.

[2] – فؤاد الصالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص: 67.

نواة للإدارة تحل محل الإدارة التركية المنهارة، وهذا الدور المنظم والموحد للصفوف، هو الذي سيقوم به عبد القادر بن محي الدين في مقاومة الإحتلال بعد مبايعته من طرف قبائل غريس[1].

[1] فؤاد الصالح السيد ، المرجع السابق، ص: 34.

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية:

وللإشارة أن عدد سكان الجزائر كان يبلغ سنة 1830م حسب المصادر الفرنسية ثلاثة ملايين نسمة، بينما نص حمدان خوجة الذي تولى هو ووالده وعمه مناصب عليا في إدارة الباي في كتابه المرآة بأن إحصاء سكان الجزائر بلغ عشرة ملايين، وتقلص هذا العدد بسبب المجاعة[1].

وتتراوح نسبة سكان الجبال والأرياف منهم بين 90% و95% وهذا الرقم دليل واضح على أن النشاط الاقتصادي الأساسي الذي كان سائدا هو الزراعة[2].

أما في المجال التجاري، كانت الأسواق هي ملتقى لتبادل السلع، تلعب دورا اجتماعيا هاما، ففي العادة تقع عند ملتقى الطرق الآتية من مختلف المناطق ويقصدها الجميع للبيع والشراء، ولكن كانت أيضا مكانا هاما لتبادل المعلومات عن الأوضاع السياسية، لهذا كانت الحكومة التركية تفرض رقابة تمارسها على الأسواق بواسطة قبائل المخزن، وقد كانت التجارة نشيطة سواء داخليا أو خارجيا، ويذكر المؤرخون:أن مستودعات ميناء عنابة عند إعلان فرنسا حربها على الجزائر كانت مفعمة بالسلع التي كانت تنتظر الشحن إلى فرنسا، ولا سيما من منتجات الجلد والشمع والصوف والمرجان، وكان ميناء العاصمة هو أهم ميناء في القطر لتصدير المنتجات المحلية واستيراد السلع الأجنبية[3].

فقد كان الاقتصاد الجزائري قبيل الاحتلال الفرنسي يتركز أساسا على ازدواجية النشاط المتمثل في ممارسة زراعة الحبوب وحرفة الرعي في إطار التنظيم القبلي المبني على أساس الملكية الجماعية للأرض ضمن مساحات أرضية واسعة[4].

---

[1] – عمورة عمار ، دواودة نبيل ، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962، ج1، دار المعرفة، الجزائر، ص: 251.

[2] –العربي إسماعيل، مقاومة الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982، ص: 83.

[3] – سعد الله أبو القاسم ،المرجع السابق، ص: 56.

[4] – عدة بن داهة ، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830م/1962م، ج2، 2008، ص: 26.

كما أن التجارة الجزائرية التي كانت رائجة قبل الاحتلال، ومزدهرة أصابها الركود بسبب السياسة الفرنسية الجائرة، ففئة التجار هي الأخرى حلت بها المصائب على غرار فئات المجتمع الجزائري، على الرغم من أنها كانت فئة ميسورة الحال ماديا بالمقارنة إلى فئة الفلاحين أو عامة المجتمع، وبالتالي فإن الحالة الاجتماعية في ظل الاحتلال الفرنسي تدهورت إلى درجاتها القصوى، خاصة بمجيء الأوروبيين الذين كان عددهم يتزايد مع بداية الحملة العسكرية وهذا ما أدى إلى إلحاق أضرار بالغة بكل المؤسسات التجارية الجزائرية، وإلى القضاء على هذه التجارة[1].

لقد كان حرص فرنسا على إحتلال الجزائر إعتقادا أنها ستحصل على غنيمة تقدر ب150مليون فرنك توجد بخزينة الداي،كما حرص حرصا شديدا كما هو معروف على إقامة علاقات دبلوماسية مع الجزائر من أجل استغلال خيرات البلاد الاقتصادية[2].

وما يمكن ملاحظته حول ظاهرة الإستيطان كظاهرة اجتماعية، أنها لم تتوقف ففي عام 1831م، أي بعد عام فقط من الإحتلال الفرنسي للجزائر، وصل عدد المستوطنين ما يقارب ثلاثة آلاف ومئتان وثمانية وعشرون نسمة (3228)[3].

كانت هذه السياسة الفرنسية واضحة المعالم في تقارير الجواسيس الفرنسيين أمثال الضابط بوتان صاحب مشروع احتلال الجزائر، وقد جسدها الحملة العسكرية عام1830م، والتي فتحت باب الاستيطان في الجزائر على مصراعيه، حيث انهال المعمرون من حثالة المجتمع الأوروبي على طرد السكان والإحلال محلهم والإستيلاء على أراضيهم بمعية من الإدارة العسكرية وتشجيع منها، حيث وصل عدد المعمرين عام 1832م إلى 5000 نسمة.[4]

---

[1] -بوعزة بوضرساية، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830م /1930م وانعكاساتها على المغرب العربي، دار الحكمة، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر ،2010،ص: 109.

[2] -فركوس صالح ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر1830 م/1925م،ديوان المطبوعات الجامعية، قالمة، 2010، ص:08.

[3] -بوعزة بوضرساية، المرجع السابق ص:112.

[4] - المرجع نفسه، ص ص: 119 ،120.

الأوضاع الدينية:

لم يكن الوضع الديني خلال فترة الإحتلال أحسن حالا من الأوضاع الأخرى للجزائر فهو الآخر ساءت حاله إلى درجة خطيرة جدا،حيث تعرضت المؤسسات الدينية للتخريب والتدمير، وكان على رأس هذه المؤسسات المساجد والجوامع والزوايا.

إن التركيز على المؤسسات الدينية من طرف إدارة الإحتلال كان يهدف إلى ضرب ركيزة المجتمع الجزائري وهي الدين الإسلامي، خاصة وأن هذه الإدارة أدركت أن دور المؤسسات الدينية هو الحفاظ على مقومات المجتمع الجزائري، وبالتالي فإن القضاء عليها يعني القضاء على معالم كثيرة في هذا المجتمع منها الثقافية والاجتماعية بسبب تداخل هذه العناصر في التأثير على المجتمع الجزائري.[1]

السبب الذي جعل الموظفين الفرنسيين يشيرون على الحكومة الفرنسية بالإستيلاء على تلك المؤسسات أنهم فعلو ذلك، أولا للحصول على وسيلة يكسبون بها ثروة طائلة، في أسرع وقت ممكن، ولو على حساب الإنسانية وشرف الأمة.

وثانيا لفتن الأنفس، وترغيب فرنسا في الإحتفاظ بالإيالة لنفسها عندما يظهرون لها أن المدخول معتبر، غير مبالين بشرعية أو عدم شرعية تلك الحقوق.[2]

تعرضت المؤسسات الدينية بالجزائر لمحاربة شديدة، لأنها كانت تمثل عائقا صلبا وشديدا ضد السيطرة الإستعمارية، فالمساجد هدم الكثير منها وحول الباقي إلى كنائس وثكنات وإسطبلات ومصتوصفات ومراكز إدارية، وأغلق البعض منها.[3]

[1] – بوعزة بوضرساية، المرجع السابق، ص:136.

[2] – خوجة حمدان بن عثمان ، المرآة، تق،:تع: تح: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للاتصال ،الجزائر ،2008 ،ص ص:243،244.

[3] – بوعزيز يحي، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر ،2009، ص ص:169،170 .

وإذا كانت الأوقاف الإسلامية العامة والخاصة قبل الاحتلال لعبت دورا بين فئات المجتمع الجزائر، فإنها في مرحلة الاحتلال فقدت هذا الدور بسبب السياسة الإستعمارية التي عملت على ضرب مقوماتها، وأن السبب الجوهري الكامن وراء الهيمنة على الأوقاف الإسلامية هو الإستحواذ على أموالها لدعم خزينة فرنسا وتفقير الشعب الجزائري.[1]

وأمام هذه الأوضاع التي عاشها الشعب الجزائري من فراغ سياسي بعد خروج الأتراك العثمانيين، ومحاولة الفرنسيين ملء الفراغ باحتلال الجزائر في 05 جويلية 1830م وبعد سقوط وهران عام 1831م، واضطراب الأحوال، دفع كل ذلك شيوخ وعلماء ناحية وهران إلى البحث عن شخصية يولونها أمرهم، فوقع الاختيار على الشيخ محي الدين والد الأمير عبد القادر لما كان يتسم به من فرع وشجاعة، فهو الذي قاد المقاومة الأولى ضد الفرنسيين سنة 1831م، كما أبدى ابنه عبد القادر شجاعته وحنكة قتالية عند أسوار مدينة وهران منذ أول اشتباك له مع المحتلين.[2]

لكن والد الأمير عبد القادر أي محي الدين اعتذر عن الإمارة وقبل قيادة الجهاد، ولما كان محي الدين قدر مسؤولية القيادة العسكرية، فقد التفت الجموع من جديد، وخاصة أنه حقق عدة انتصارات على العدو، وقد كان ابنه عبد القادر على رأس الجيش في كثير من هذه الانتصارات، فاقترح الوالد أن يتقدم عبد القادر لهذا المنصب قائلا: ولدي عبد القادر شاب تقي، فطن صالح الخصوم ومداومة الركوب مع كونه نشأ في عبادة ربه، ولا تعتقدوا أني فديت به نفسي، لأنه عضو مني وما أكره لنفسي أكرهه له، غير أني ارتكبت أخف الضررين حيث تيقنت الحق فيما قلتموه، مع تيقني أن قيامه به أشد من قيامي وأصلح ... فسخوت لكم به.[3]

[1] – بوعزة بوضرساية، المرجع السابق، ص ص: 140،141.

[2] – سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ص:58.

3-AZAN COLONEL PAUL. L emir ABDELKADER 1808-1883 du fanatisme patriotisme français. paris,librairie hachette 1925.p.221.

رحب الجميع بهذا العرض، وفي 13رجب 1248هـ/27 نوفمبر 1832م اجتمع زعماء القبائل والعلماء في سهل غريس بمعسكر وعقدوا البيعة الأولى تحت شجرة الدردارة، ولقبه والده ب"ناصر الدين" واقترحوا عليه أن يكون "سلطان" ولكنه اختار لقب الأمير" ثم تلتها البيعة العامة في 4 فبراير1833م[1].

بداية المقاومة:

لقد بين منشور فرنسي مؤرخ في:1847/11/27م أن عواطف الشعب الجزائري وكذا طموحاته إنما بترجمان اللذين حملوا لواء الجهاد ودافعوا عن الإسلام ضد المحتل.

لقد كان مستقبل المجاهد الجزائري، الذي يحلم به هو الذي وعد به المؤمنين الصادقون، حيث إذا دعي إلى الجهاد، نسي كل شيء، عائلته وأمواله وكل ماعنده ، وحمل بندقية وامتطى فرسه لأنه يعلم أن الموت بالنسبة إليه شهادة في سبيل الله وحياة أبدية عند ربه[2]،مصداقا لقوله تعالى:﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾.

فقد اعتقد " بورمون" أن سقوط الجزائر سيؤدي بصورة تلقائية إلى إحتلال كل القطر الجزائري دون مقاومة، فخرج في حمله عسكرية يوم:23/يوليو1830م لتوسيع رقعة الاحتلال بالداخل، ولكنه فوجئ بهجوم القبائل الجزائرية التي أجبرته على الانسحاب في اليوم الموالي، مخلفا وراءه 150قتيلا و43 جريحا.

وقاد دامريمون في الثاني من أغسطس 1830م حملة في محاولة لاحتلال مدينة عناية، فقاوم سكان مدينة عنابة، بكل ما أوتو من قوة وانتهت الحملة الغازية بالانسحاب والفرار [3].

---

[1] – العربي اسماعيل، المرجع السابق، ص:83.

[2] – سورة البقرة، الآية :154 .

[3] – فركوس صالح، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينقيين إلى خروج الفرنسيين 814 ق م، 1962 ، دار العلوم للنشر والتوزيع ، ص: 148.

وفي وهران بعد أن تمكن الجنرال كلوزيل من مركزه بالعاصمة، طمح إلى التوسع في الغزو والاستيلاء على أمهات البلاد الجزائرية، وإخضاع عواصمها الشهيرة فتشوف إلى وهران، فراسل أهلها يدعوهم إلى الطاعة والاستسلام، وفي الحين بعث بقوات الأسطول الفرنسي إلى الساحل الوهراني، وعلى رأسه الجنرال دامريمون، فاحتل المرسى الكبير (27 جمادى الثانية 1246ه/3ديسمبر 1830م)، ثم انسحب منها عندما بلغه خلع ملكه شارل العاشر، وأخذت المفاوضات السياسية تجري بينه وبين حاكمها التركي حسن باي، ونظر العدم تكافؤا القوات ما بين الطرفين، فسريعا ما أذعن الباي للطاعة والاستسلام، وسقطت المدينة بيد العدو 18 رجب 1246هـ/3 جانفي1830م.[1]

وكان من نتائج هذه الحملة اغتيال ابن قائدها "أميدي بورمون" ابن "بورمون" نفسه قائد الحملة على الجزائر العاصمة وزير الحربية، وقطع رأس ابنه "أميدي" في وهران، ثم نفي "بورمون" إلى إسبانيا يحمل قلب ابنه العزيز في علبة بين يديه، يتقطع حسرة وحزنا عليه وعلى ملك اعتقد أنه تربع على عرشه ولكن سرعان ما خرج منه ذليلا ومخذولا، فلا قومه الذين حقق لهم هذا الانجاز حزنوا عليه ولا الجزائريين الذين ذاقوا على يديه كل الويلات يذكرون له ذرة خير أو لفتة خير وإحسان تلك هي عاقبة المجرمين[2].

كما قام بتاريخ 23 نوفمبر 1830م بتعيين مصطفى بن عمر بايا على التيطري خلفا لباي التيطري السابق السيد: مصطفى بومزراق الذي رفض الخضوع لسلطة فرنسا، وأعلن نفسه باشا ورئيسا مستقلا للإيالة، ووجد الباي الجديد نفسه وجها لوجه مع السكان ولا يملك أي جيش يساعده على تدعيم سلطته، وتصاعدت المقاومة ضد فرنسا والباي الجديد الذي قرر "بيرتزان" إنهاء مهامه وانتهج سياسة الترغيب والترهيب مع الأهالي، وتصرف خلال فترة حكمه وكأن

[1] – الجيلالي عبدالرحمان بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج4،دار الأمة للنشر والتوزيع، 2010، ص: 240 . أنظر،أ، ف، دينيزن، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر، تر، تق: أبو العيد دودو، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص:23.

2-Azan: op, cit, p: 29.

الجزائر تمثل المرحلة الأولى من امتلاك النيابة، حيث ينبغي أن تحل السلطة الفرنسية محل السلطة التركية.[1].

ووضع أسس الاستيطان وقام بتسليم الأراضي للمعمرين، كما اغتصب مزرعة تقع عند وادي الحراش (حوش الباي) حوالي ألف هكتار سماها "المزرعة النموذجية الإفريقية"، ونتيجة لذلك أصبحت مرسيليا زاخرة بالتجارة والأموال المتدفقة عليها من الجزائر[2].

وبعدها دخلت الحملة العسكرية بقيادة الضابط "بواييه" مدينة البليدة في 18 نوفمبر 1830م الذي احتل مسجد البليدة وجعله مستشفى عسكريا، وعاث جيشه فسادا في الأرض يقتل ويسفك الدماء ويطارد الأهالي الضعفاء داخل غابات الجبال. وفي طريقه إلى مدينة المدية لإحتلالها، كان المجاهدون الجزائريون قد اعترضوا حملته في مضيق موزاية، فدارت معركة حامية، سقط من جنوده الغزاة 27 قتيلا 80 وجرح ، وتم إحتلال المدية يوم 22 نوفمبر، حيث نصب عليها عميل مواليا لفرنسا كباي جديد لها وهو مصطفى بن الحاج عمر.[3]

الذي هاجم المجاهدون حاميته التي تركها الفرنسيون وكان عددهم قد بلغ 8 آلاف شخص وكان قائدهم هو المجاهد الحسين بن زعموم، هذا القائد الذي برز منذ عام 1830م كقائد لقبيلة فليتة، كان بالرغم من سنه (حوالي 70 سنة) قد استجاب لنداء الجهاد في سبيل الله بعد سقوط العاصمة ومناداة الباي مصطفى بومرزاق باي التيطري للجهاد ضد الغزاة.

[1] – علي عامر محمود، تاريخ المغرب العربي المعاصر، دمشق، 1997، ص: 29.

[2] – بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، 1997، ص: 103.

3-p.Azan, op, cit, pp:35 ,36.

كانت المقاومة شديدة وقوية ولولا المدفعية التي استخدمها العدو لإبادة الحامية عن آخرهالقد استشهد حوالي 800 مجاهد، أما الجند الفرنسي فقد سقط منه تسعة عشر منهم ضابطان وجرح خمسة وخمسون بعد ما انتقم كلوزيل من الأطفال والنساء والشيوخ[1].

وبعدها ظهر ابن العنابي الرجل المجاهد مفتي مدينة الجزائر وكان مخلص لأمته الأمر الذي جعل منه موضوع شبه ومراقبة مستمرة من السلطات الاستعمارية التي أحاكت له مؤامرة، قرر إثرها الجنرال "كلوزيل" سجن المفتي ثم نفيه إلى الإسكندرية، لقد تصدى ابن العنابي لهذا الجنرال الذي أجبره على تسليمه بعض المساجد بالعاصمة لجعلها مستشفيات للجيش الفرنسي متهما إياه بتدبير مؤامرة ضد الوجود الفرنسي بالجزائر، وإعادة الحكم الإسلامي[2].

ثم خلف "برتزان" "كلوزيل" يوم 20 فبراير 1831م حيث سارع مباشرة إلى نجدة باي المدية مصطفى بن الحاج عمر الذي تركه "كلوزيل" محاصرا من طرف المقاومين الجزائريين الذين اضطروا الغزاة على إخلاء مدينة المدية وهاجموا المزرعة النموذجية بقيادة ابن زعموم، كما فشل "برتزان" في احتلال مدينة عنابة التي أرسل إليها حملة بقيادة الضابطين "هيدار" والنقيب "بيقوت" في سبتمبر 1831م حيث لقيا مصرعهما ومنيت جنودهما بخسائر فادحة في الأرواح والعتاد[3].

عزل "برتزان" وتم استخلافه بالدوق "دوروفيقو" أواخر ديسمبر 1831م وهو لا يختلف عن سابقيه فقد اقترف مذبحة رهيبة لقبيلة العوفية التي أبيدت عن آخر فرد فيها أثناء نومها من ليلة الخامس أفريل 1832م بتهمة قتل مبعوثي فرحات بن سعيد إلى "دوروفيقو" والذي كان معارضا شديدا للحاج أحمد باي قسنطينة ،كما قبض على شيخ القبيلة وأعدم هو الآخر[4].

[1] – سعد الله أبو القاسم ، المرجع السابق، ص: 38 ،39 .

[2] – سعد الله أبو القاسم ،ابن العنابي رائدا للتجديد الإسلامي، ص: 33.

[3] – Azan, op, cit, pp: 62-63.

[4] – سعد الله أبو القاسم ، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص: 38.

إثر هذه المذبحة، دعا الحاج السعدي والحاج محمد بن زعموم للجهاد، واستطاع الحاج السعدي الذي كان ينحدر من عائلة دينية أصلها من نواحي الجزائر والبيبان وبجاية، أن يجلب إليه الحاج محي الدين إلى صف المجاهدين، وأول معركة خاضها المجاهدون هي معركة زاوية التوري قرب العوفية قتل فيها 57 جنديا مرتزقا من اللفيف الأجنبي و لم ينج من الفرقة كلها سوى ألماني اعتنق الإسلام وسماه الناس أحمد.

ثم كان اجتماع القيادة الجديدة في شهر سبتمبر 1832م وهو الاجتماع التاريخي الذي وقع في "سوق علي" بالقرب من بوفاريك والذي أدى إلى جمع الكلمة وتكوين قوة كبيرة من المجاهدين انطلقت ضد العدو بقيادة ابن زعموم أيضا، وخرجت القوات الفرنسية لتفريق هذا التجمع الوطني، ولكن المجاهدين نصبوا لها كمينا، فقتلوا منها وأصابها الذعر والخوف والفوضى لولا نجدة أعادت إليها أنفاسها، وذلك في اليوم الثاني من أكتوبر 1832م، واستمرت المناوشات بين المجاهدين وقوات العدو في متيجة خلال 1833م/1834م وكان العدو قد تعلم استعمال الهجوم الخاطف، وظل خلال ذلك محاصرا في العاصمة لم يقم بغزوات جديدة إلا على المدن البحرية، أثناء ذلك كانت تأتي أخبار الانتصارات التي حققها الأمير عبد القادر. [1]

.

[1] ــ سعد الله أبو القاسم ، المرجع السابق ، ص: 39.

الفصل الأول

الفصل الأول

حياة الأمير عبد القادر وبناء الدولة الحديثة

المبحث الأول

المولد والنشأة

المبحث الثاني

مبايعة الأمير عبد القادر

المبحث الثالث

بناء الدولة الحديثة

المبحث الرابع

معاهدات الأمير وبعض معاركه

نتناول في هذا الفصل حياة الأمير عبد القادر الجزائري، وكيف أصبح أميرا، فنتعرف أولا على نسبه الشريف وأصوله، والتركيز على محطات هامة في حياته كمولده ونشأته، ورحلاته التي قام بها قبل أن يبايع أميرا على الجزائر وكيف استطاع بناء دولة منظمة، وإبرام المعاهدات وإقامة العلاقات مع الدول وتنظيم المعارك وخوضها.

المبحث الأول:

مولـــده ونشـــأته:

لابد لنا قبل أن نتحدث عن المولد والنشأة للأمير عبد القادر الجزائري، أن نذكر نسب هذا الأمير الذي يعود إلى النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، وهذا النسب جعله محل احترام وثقة من طرف الآخرين.

فهو السيد الجليل العارف النبيل الناسك العالم، العامل، الزاهد، المتورع، السيد الحاج عبد القادر، بن محي الدين بن مصطفى، بن محمد بن أحمد، بن المختار بن عبد القادر، بن أحمد المختار بن عبد القادر، المعروف بخدة (محشى صغرى السنوسي)[1]، بن أحمد القديم، بن عبد القادر ابن محمد بن محمد، بن عبد القوي بن عبد القادر، بن أحمد بن الغوث الرباني، سيدنا عبد القادر الجيلاني[2]، بن صالح بن موسى بن عبد الله ،بن يحي الزاهد، بن الإمام محمد داود ،بن الإمام موسى ابن الإمام عبد الله بن الإمام موسى الجوني، بن الإمام عبد الله المحض بن الإمام الحسن

[1] - محشى صغرى السنوسي: أم البراهين في العقائد المعروفة باسم السنوسية الصغرى أو العقيدة الصغرى أو السنوسية محتوى على جميع عقائد التوحيد، تصنيف أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي وهو من علماء تلمسان وزهادها. أنظر، الجزائري عبد القادر، مذكرات الأمير عبد القادر الجزائري سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة1849 م ،تح، محمد الصغير بناني وآخرون، شركة دار الأمة، ط7، الجزائر، 2010، ص: 46.

[2] – عبد القادر الجيلاني : ولد بالعراق خلال القرن الثاني عشر ميلادي 1078ه-1166م يعتبر سلطان الأولياء قطب الأقطاب، فقد جمع من العلم والتصوف تاركا أثار صوفية لها امتداد تاريخي إلى يومنا، ويرتفع سند منهيه إلى الحسن البصري، لم يثبت في التاريخ أن الشيخ عبد القادر الجيلاني عاش قسطا من حياته في المغرب أو زاره، غير أن طريقته انتشرت كما لو أنه توفي في المغرب، لوجود أضرحة كثيرة بالمغرب ككل، أنظر، أمين أحمد، ظهر الإسلام،ج4، مكتبة النهضة المصرية، ط3، القاهرة، 1964، ص: 222.

المثنى، بن الإمام الحسن السبط، بن الإمام علي بن أبي طالب[1]، وزوجته فاطمة الزهراء بنت سيد الوجود محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام[2]، هذه عروة السلسلة الوثقى التي لا انفصال لها، من تحقيق نسبه إلى الإمام الغوث الذي قال : قدامى هذا على رقبة كل والي.

وله سلسلتان أخريتان من جهة الأطراف، ويتصل بها طرفان من جهة عبد القوي بن علي بن أحمد بن عبد القوي، بن موسى بن أحمد بن بشار، بن محمد بن مسعود بن طاوس، بن يعقوب بن عبد الغفور، بن عبد القوي بن محمد ،بن أحمد بن إدريس، بن عبد الله الكامل، بن الحسن السبط.

السلسلة الثانية من طرفي الأولى، عبد القوي بن عبد الرحمان بن إدريس، بن إسماعيل بن موسى الكاظم، بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر بن علي زين العابدين السجاد بن علي بن الحسن السبط.

فالسلسلة الأولى هي الوسطى اتصلت بها سلسلة الطرف وهي الثانية في الحسن المثنى بن الحسن السبط.

والسلسلة الثانية من أحد طرفي الوسطى، اتصلت بها في الحسن رضي الله عنه[3].

هو عبد القادر ناصر الدين الابن الرابع لمحي الدين[4] ، من زوجته زهراء[5].

---

[1]- الجزائري عبد القادر، المرجع السابق، ص: 46. أنظر، بن التهامي مصطفى ، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تح، تق، تع، يحي بوعزيز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص: 47.

[2]-الجزائري الحسني بديعة ، ناصر الدين الأمير عبد القادر بن محي الدين سيرته المحمدية في حقبة التاريخ، مطبعة السلام ط2،دمشق، 1992، ص: 32.

[3]- الجزائري عبد القادر، المرجع السابق، ص: 47.

أنظر، بن التهامي مصطفى ، المرجع السابق، ص: 47 ،48.

[4]- محي الدين: ولد بواد الحمام عام﴿ 1190هـ/1776-1777م﴾ درس على يد أبيه وورث عنه مشيخة الزاوية فكثر عليه طلاب العلم، اشتهر بسدادة الرأي وغزارة العلم، قاوم الظلم في عهد الباي حسن بن موسى، وتوفي في 1249هـ/1833م ،وخلفه ابنه رئاسة الزاوية ،انظر، بوعزيز يحي ، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1995، ص: 245.

[5]- حرب أديب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر 1808م-1847م ، ج1، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ص: 67 .

ولد (في 23 رجب1222هـ/26سبتمبر1807م)[1]، في يوم الجمعة [2]، في قرية القيطنة[3]، على ضفة وادي الحمام[4]،في منطقة غريس[5]، التي تقع في إقليم وهران في الجزائر، وتربى في رعاية والده مقدم الطريقة القادرية[6]، وشيخ زاوية القيطنة، وتلقى تعليمه الأول في كتاب عن أبيه وبعض شيوخ الزاوية، فأجاد حفظ القرآن واستوعب مبادئ العلوم الدينية واللغوية[7]، وبعد أنهى المراحل الأولى من التعليم في مدرسة القيطنة، وأصبح طالبا وكلف بإعطاء الدروس في زاوية عائلته، وفي الخامس عشر رحل إلى ارزيو، للدراسة على يد قاضيها الشيخ أحمد بن طاهر قبل أن يتحول إلى مدينة وهران، حيث انتسب إلى مدرسة أحمد بن خوجة والتي قضى فيها ما يقارب سنة، انكب فيها على توسيع معارفه اللغوية والفقهية[8].

فأخذ النحو وجوهرة البيان والمنطق عن بعض علماء وهران، كالسيد مصطفى الهاشمي والشيخ بن نقريد[9]، كان يشهد للأمير منذ شبابه بالعلم والقداسة، فقد ولد في بيئة متدينة إلى حد بعيد فهو رجل فقه ودين[10].

---

[1]– الجزائري عبد القادر، المرجع السابق، ص: 50.

[2]– الوزير محمد السيد علي ، الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته وأدبه، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص:15.

[3]- قرية القيطنة : على بعد 28 كلم من مدينة معسكر مقر أسرة الأمير عبد القادر إختطها جده مصطفى ابن المختار سنة 1206هـ ،وعرفت آنذاك إشعاعا دينيا وثقافيا معتبرا بفضل زاويته القادرية الشهيرة زاوية القيطنة وقد هدمها بيجو في سبتمبر 1841م، وهي اليوم بلدية تابعة لدائرة بوحنيفية معسكر.

أنظر، الجزائري عبد القادر، المرجع السابق، ص: 50.

[4]– واد الحمام : هو المعروف بحمام بوحنيفية يبعد عن مدينة معسكر ب 30كلم، أنظر، سعيدوني ناصر الدين، عصر الأمير عبد القادر، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ط1، الكويت، 2000، ص: 102.

[5]– غريس، كان سهل غريس يمتد على مجموعة من التموجات الخفيفة تخترقها بعض مجاري السيول.

[6]- الطريقة القادرية: تعتبر أقدم الطرق الصوفية تنتسب إلى مؤسسها عبد الرحمان الجيلاني في بغداد بالعراق، في القرن الثاني عشر ظهرت هذه الطريقة أول مرة في العراق ،وانتقلت إلى المغرب العربي وآسيا الوسطى والهند، وهي تقوم على الفناء الذاتي والحاد الروح بالخالق.

أنظر، أمين أحمد، المرجع السابق، ص: 222.

[7]– سعيدوني ناصر الدين، المرجع السابق، ص: 218.

[8]-سعيدوني ناصر الدين، المرجع السابق ص: 102.

[9]– الجزائري عبد القادر، المرجع السابق، ص:49.

[10]– برونو ايتين ،الأمير عبد القادر الجزائري، تر،ميشل خوري، دار عطية للنشر ، ط1، لبنان، 1997، ص: 17،18،

قرر محي الدين أن يتوجه إلى مكة وأن يأخذ معه ولده عبد القادر، لكن قافلته أوقفت بأمر من الباي عند أبواب شلف، واقتديت إلى وهران لكن بعد مفاوضات طويلة وبفضل نفوذ وضغط عدة زعماء قبائل أعطى الإذن أخيرا لمحي الدين،و بدأت الرحلة في 1827م[1]، سالكين طريق التل الشرقية العالية فمرتفعات قسنطينة فتونس،حيث مكث بعض الوقت وشاهد المعالم الحضارية، انتظر الجميع تحسن الطقس للتوجه إلى الإسكندرية بحرا[2]، لكنهم فوجئو بعاصفة هوجاء أرغمتهم على العودة، ولكن الفرصة واتت محاولتهم الثانية، وبعد رحلة استغرقت حوالي 15 يوما وصلوا إلى الإسكندرية، توجه محي الدين وعبد القادر إلى القاهرة[3]، وبعد أيام ترك العاصمة وسلك طريق السويس–جدة ،ووصل مكة المحطة الرئيسية من رحلتهم وهناك أنهيا واجباهما الدينية ومن مدينة الرسول توجهوا إلى دمشق قاصدين بغداد[4]، حيث انحنوا أمام مقام رئيسهم القطب الكبير سيدي عبد القادر الجيلاني، وهنا بالذات عرف محي الدين المصير المجيد الذي ينتظر ابنه[5].

قرر محي الدين الرجوع ثانية إلى الأماكن المقدسة عن طريق البر وكان ذلك سنة 1829[6].

ومنها توجه إلى الجزائر عبر طرابلس الغرب، حيث توقفا وزارا قبر مصطفى بن المختار، ثم تابع سيرهما إلى تونس فواد الحمام حيث تكاثرت الوفود وتجمع المستقبلون ترحيبا بسلامة العودة[7]، ومن خلال رحلتهم الطويلة التي قادتهم حتى قبرص تمكن أمير المستقبل وسنه آنذاك لا

[1]–بسايح بوعلام، أعلام المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي بالسيف والقلم1830م–1954م ، م1، تع: خليل أحمد خليل، مؤسسة النشر والإشهار، الجزائر، 2010، ص:16.

[2] – حرب أديب، المرجع السابق، ص: 75.

[3] – تشرشل شارل هنري، حياة الأمير عبد القادر، تر ،تع، تق: سعد الله أبو القاسم ، الدار التونسية للنشر ،تونس، ص: 45.

[4]– حرب أديب ، المرجع السابق، ص ص: 76،75.

[5]– بوطالب عبد القادر، الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية من الأمير عبد القادر إلى حرب التحرير، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009، ص: 50.

[6] – بسايح بوعلام، المرجع السابق، ص:16.

[7]– حرب أديب، المرجع السابق، ص:76.

يزيد عن 20 سنة من فهم الحالة المزرية للشعوب المسلمة، عندما مر بكل الأقطار التي كانت تحت السيادة التركية[1].

تزوج عبد القادر من ابنة عمه لالة خيرة ابنة سي علي بوطالب سنة1829م ، وبعد أشهر عدة أعلن استيلاء الفرنسيين على مدينة الجزائر[2]، وكان لا يرى زوجته إلا مرتين في السنة يقيم عندها في كل مرة عشرة أيام أقصاها خمسة عشرة يوما [3].

[1]- بوطالب عبد القادر، المرجع السابق، ص: 50.

[2]- بسايح بوعلام، المرجع السابق، ص:17.

[3]-كارل بيرنت يوهان ، الأمير عبد القادر،تر، تق: دودو أبوالعيد ، دار هومه، الجزائر، 2009، ص:74.

المبحث الثاني:

مبايعة الأمير عبد القادر:

تمثل هذه المرحلة فصلا هاما في حياة الأمير عبد القادر ،وهذه الشخصية الفذة التي اكتشفها الشعب الجزائري في أحلك الظروف وأصعبها. فقد انتقل الأمير من الجانب الديني إلى الجانب السياسي العسكري فقد امتلك صفات رجل الدولة، بالإضافة إلى تدينه العميق وبراعته الفائقة في القتال، فاجتمع أشرافهم وعلماءهم و أعيانهم على مبايعته أميرا على البلاد.

لقد رأت البلاد الجزائرية وهي تواجه غاصبا دخيلا، وعدوا قويا بحيله ورجاله، ورصاصه ومدافعه وأسطوله ودسه وأمواله، أن توحد كلمتها وتعتصم في محنتها برئاسة رشيدة حازمة، فنثرت كنانتها باحثة عن أصلح الرجال لها فاهتدت إلى والد الأمير محي الدين لما فيه من الشجاعة والكفاءة[1]، فخاطبهم محي الدين: إن سلطان المغرب قد عبر عن عاطفته نحونا... وإذا حاربنا تحت لواءه فسنتقدم نحو انتصار مؤكد، لأن لواءه هو لواء الله ورسوله[2].

وبعد أيام قليلة توجهت بعثة نحو فاس مكونة من عشرة أعضاء ،واستقبلها مولاي عبد الرحمان بمظاهر الود والفرح، إلا أنه تأخر في الإجابة عن طلبهم ستة أشهر[3]، ورشح السلطان مولاي علي للخلافة عليهم لما يعلم من عقله ودرايته حسب رواية الناصري[4].

وبسرعة اعترفت البلاد كلها بسلطته، وكانت الخطبة تعلم باسم السلطان المغربي بكل المساجد، ففتح تلمسان لدخول مندوب السلطان، لكن الفوضى نشبت و لم يتمكن علي من إخمادها[5]، وتختلف الروايات حول تفاصيل خروج القوات المغربية من الجزائر حيث يذكر

---

[1]- مسعود مجاهد، تاريخ الجزائر، ج1، المكتبة الوطنية، ص: 147.

[2]- تشرشل شارل هنري، المرجع السابق، ص:53.

[3]- المرجع نفسه ، ص:53.

[4]- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،ق3، ج9، تح، تع : جعفر الناصر، محمد الناصر، دار البيضاء، دار الكتاب، 1956، ص: 29.

[5]- عمر بوزيان، جذور اتحاد المغرب والجزائر1832م/1845م، ممنشورات دار عكاظ، الرباط، 1988، ص: 77.

تشرشل: فتقدم الوالد من عبد القادر مبايعا وشد على يده قائلا: «كيف ستحكم البلاد يا ولدي؟ أجاب عبد القادر بالعدل والحق الذي أمر به رب العالمين، سأحمل القرآن بيد وعصا من حديد بيد أخرى وسأسير على هدى كتاب الله وسنة رسوله» ،قال تعالى﴿ **إِنَّ الَّذِين َيُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّه ِفَوْقَ أَيْدِيهِمْ** ﴾[1].

ثم التفت الوالد سي محي الدين مخاطبا الجموع قائلا لهم: انه ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين لقب ليس سلطانا ولا ملكا وإنما أمير عليكم[2].

البيعة الأولى: (الخاصة).

تحت هذه الشجرة بايع محي الدين ابنه على السمع والطاعة[3] ،ولقبه بناصر الدين ثم تلاه عمه سي علي بوطالب وإخوته وأقاربه ثم العلماء والأعلام بناحية وهران وتلمسان ومعسكر[4]، ومع ثقل هذه الأمانة قبلها عبد القادر لكونه لا يستطيع التخلف عن نداء الواجب مع كبر حجم المسؤولية، قال تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَات ِوَالْأَرْض ِوَالْجِبَال ِفَأَبَيْنَ أَن ْيَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ**﴾[5]، لأنها واجب مقدس وفرض عين، ونظرا لوجود اختلاف بين المصادر والمراجع نقلا عنها، حيث تذكر مذكرات الأمير أن هذه البيعة انعقدت يوم الأربعاء، آخر شعبان سنة ثمان وأربعون ومئتين وألف 1248هـ.الموافق ل.1833/01/21م، ويبقى

[1] – سورة الفتح ،الآية: 10.

[2] – الجزائري بديعة الحسني، المرجع السابق، ص: 25.

[3] - الجزائري محمد بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر،ج1 ،شر،تع : ممدوح حقي ، دار اليقظة العربية،ط2،دمشق ،ص: 156.

[4] –مجلة أول نوفمبر، شعابنة عبد الحميد، الأمير عبد القادر المجاهد المثقف والسياسي الفارس ، عدد 165، 2001، ص: 39.

[5] – سورة الأحزاب ،الآية: 72.

هذا التاريخ محل نظر لأن الأمير بويع في: 5 رجب1248هـ./28 نوفمبر1832)[1]. بينما نجد الشقراني يقول : «وقعت البيعة في الثاني عشر من رمضان سنة ثماني وأربعين ومئتين وألف[2]».

وقرر في خطبته برنامجه القائم على القرآن والسنة[3]،و المتمثل في مايلي:

أ- السمع والطاعة.

ب-الثباب على الجهاد لإعلاء كلمة الله ودينه.

ج-الكفاح ضد العدو دفاعا عن الوطن[4].

إرسال القوات الفرنسية إنذارات للسلطان المغربي، بالانسحاب من الجزائر أو إعلان الحرب عليه، فأمر السلطان جيشه بالعودة[5]، ويذكر السلاوي مايلي:«...ثم سرى ذلك الاختلاف في قواد جيش السلطان، فتنافسوا وتحاسدوا وكثر القيل والقال منهم على السلطان ثم ختموا عملهم بانتهاب أثاث الكراغلة ثم بانتهاب مال الزمالة والدوائر وماشيتهم ،فحينها أذن السلطان رحمه الله باسترجاع تلك الجيوش التي لم يبق طمع في صلاحها[6].

بعد انسحاب ملك المغرب حسب الروايات التي ذكرنا بعضا منها سابقا، قرر المرابطون والرؤساء أن يعرضوا منصب السلطان على محي الدين إلا أنه رفض[7]، وبرر رفضه بكبر سنه وبصفته رجل دين[8] قال: أنا الآن أقوم بواجبي الديني والوطني مجاهدا في سبيل الله كأي واحد منكم إذ كان رأيكم وثقتكم بولدي عبد القادر كرأيكم بي فأنا متنازل له عن هذه البيعة فتشاوروا

[1] - ابن التهامي مصطفى، المرجع السابق، ص: 131.

[2] – الشقراني أحمد بن عبد الرحمن الراشدي، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تح ،تق: سعيدوني ناصر الدين، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1991، ص: 35.

[3] – منور العربي ، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، دار المعرفة الجزائر، ص: 148.

[4] - أوصديق فوزي، النظام الدستوري الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص: 28.

[5] – تشرشل شارل هنري، المرجع السابق، ص: 54.

[6] – المرجع نفسه، ص: 54.

[7] – بوطالب عبد القادر، المرجع السابق ، ص: 55.

[8] –الجزائري بديعة الحسني، المرجع السابق، ص: 23.

فيما بينكم، وإذا عقدتم العزم فموعدنا عند سهل غريس تحت شجرة الدردارة صباح الاثنين يوم الثالث من شهر رجب1248هـ-1832م[1]. وهي شجرة عظيمة تجتمع إليها الأعيان للشورى كلما استدعى الأمر ذلك، وقام أحد العلماء وخطب في الناس قائلا: إننا في حاجة لمن يقود سفينتنا ويقف في وجه العدو في الداخل والخارج ليذيقه العذاب، ولهذا فان الخاص والعام قد اتفقوا أن يسندوا الإمارة لعبد القار بن محي الدين[2]، وأنه لن يأخذ بغير القرآن وحده في عبارات صارخة تحث على عقاب الله الذي سيحل بالشعب إذا تخلى عن دينه ووصفه بالرعب الذي حل بالبلاد[3].

ودخل عبد القادر معسكر بعد والده، حيث وصل إلى واد قريب يدعى خصيبة[4]، كمظهر من مظاهر العرفان أكل من طعامهم ودعا لهم وذكرهم بضرورة الالتزام والطاعة. واصل المباعيين قبولهم ورضى به الصغير والكبير والجليل والحقير وأمرهم بإنصافه وحسن سيرته وأدبه[5].

وقوع البيعة وكونها ملزمة للجميع وأن عبد القادر صار أميرا مكلفا بإقامة الحد والشريعة، وقد كلف بتحريرها خال الأمير(محمد بن عبد القادر) المعروف بابن أمينة[6].

وجاء فيها: «فاعلموا معاشر العرب والبربر، أن الإمارة الإسلامية والقيام بشعائر الملة المحمدية قد آل أمرها الآن إلى ناصر الدين السيد عبد القادر بن محي الدين، وصار أميرا لنا متكلفا بإقامة الحدود الشرعية... ولا يكلف الرعية شيئا لم تؤمر به الشريعة المطهرة... نشر راية الجهاد وشمر على ساعد الجد لنفع العباد... فمن سمع النداء فعليه بالسعي لتقديم الطاعة[7]، وأداء البيعة لإمام منكم... ولا تشق العصا ويذهب الخلاف بكم إلى مالا خير لكم فيه».

---

[1]- الجزائري بديعة الحسني، المرجع السابق، ص: 23.

[2]- مسعود مجاهد، المرجع السابق، ص:148.

[3]- تشرشل شارل هنري، المرجع السابق، ص: 56.

[4]-خصيبة: تقع على بعد مسافة نصف ساعة وعشر دقائق من معسكر.

[5]- ابن التهامي مصطفى، المرجع السابق، ص: 131.

[6]- مجلة الثقافة، بوعياد محمد «عبد القادر الانسان، العدد 75، 1983، ص: 229.

[7]- حرب أديب، المرجع السابق، ص: 88.

وبآخر الصك إمضاءات من حضر من أعيان العشائر وكبار رجال الوطن، مع تعاليق تثبت بخطهم هذه البيعة منهم: عمه أبي طالب علي بن مصطفى بن المختار، ومحمد بن عبد الله، وأحمد بن التهامي الحسني، ومحمد بن حواء، والمختار بن عبد الحي بن روكش وغيرهم.[1]

وتلاها بيان احتوى أوامر السلطان الجديد إلى قبائل المنطقة ينبذ خلافاتهم والتكاتف فيما بينهم لحماية البلاد والدفاع عنها[2].

البيعة الثانية: (العامة).

حصلت البيعة الثانية للأمير عبد القادر في الساحة الرئيسية لقصر الإمارة، وهي تدعوا الجميع للتأييد التام ،والطاعة المطلقة لتأمين العدالة واستتباب الآمن ومحاربة كل معتدى على أرض البلاد[3]، وكان هذا يوم 13رمضان 1248هـ الموافق لـ: 4 فيفري 1833م[4]، وحرر في ذلك عقد لهذه البيعة الثانية العامة الواقعة بمحل العموم من قصر الإمارة، وقرأ على العموم فوافقوا عليه، وكانت هذه الوثيقة الثانية من إنشاء العلامة السيد محمد بن المجاهري وجاء في نصها «ولما انقرضت الحكومة الجزائرية من سائر المغرب الأوسط، واستولى العدو على مدينتي الجزائر ووهران أعادها الله دار إيمان وإسلام تجاه النبي عليه السلام...وصار الناس في هرج ومرج وحيص بيص، لا ناهية عن منكر، ولا يعض ويجر، وقام من وفقهم الله للهداية وظهرت عليهم العناية من رؤساء القبائل...في نصب إمام يبايعونه على الكتاب والسنة يسمعون لأمره ونهيه ويتباعونه في جميع أحوالهم...فلم يجدوا لذلك المنصب الجليل إلا ذا النسب الطاهر والكمال الباهر... السيد عبد القادر بن مولانا السيد محي الدين... فبايعوه على كتاب الله العظيم وسنة نبيه الكريم...».[5]

---

[1] – الجزائري محمد بن عبد القادر، المرجع السابق، ص ص: 14.154

[2] .– الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج4، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص: 285.

[3] - حرب أديب، المرجع السابق، ص:88.

[4] – الجزائري محمد بن عبد القادر، المرجع السابق، ص: 36.

[5] – الجيلالي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص: 288.

وهكذا تمت بيعة الأمير عبد القادر في ذلك اليوم المشهود فانبرى بعده إلى تكوين جبهة قومية متحدة أمام العدو[1].

وتمت البيعتان الأولى والثانية للأمير عبد القادر، دون أن يكون هناك أي رأي لكل من الحاكم العام دوروفيجو في العاصمة الجزائر والجنرال بوايه في وهران. وإن إجماع شيوخ سهل غريس واختيارهم عبد القادر سلطانا عليهم كان لاقتناعهم التام لكونه ابن عائلة أعطت الكثير من الرجال، ويستطيع مواجهة الظروف التي تعصف في بهم، تحت تأثير فكرة الجهاد الديني ومختلف الطرق الصوفية [2].

[1] – الجيلالي عبد الرحمان، المرجع السابق ، ص:289.

[2] – حرب أديب، المرجع السابق، ص:88.

المبحث الثالث :

بناء الدولة الحديثة:

بعد البيعة كان الأمير عبد القادر بحاجة إلى دعوة القبائل التي تشارك في بيعته للالتحاق بصف الوحدة تحت رايته، راميا إلى نجاح المقاومة والجهاد، لكن نداءه في البداية لم يلق صدى واسع عند القبائل التي أعطت الولاء للسلطة الأتراك، ورغم هذا فقد أسرع الأمير في بناء الدولة الجزائرية الفتية على أسس إسلامية مستمدة قوانينها من القرآن والسنة، وقد قامت في ظروف ثورة شعبية عارمة بسبب ظلم الاستعمار وطغيانه.

بعد أن بويع الأمير المبايعة العامة من قبل الشعب، أخذ على عاتقه إحياء الدولة الجزائرية من جديد، ونفخ روح التنظيم بين صفوفها[1]. ولإعطاء العهد الجديد القوة اللازمة، سعى الأمير إلى استخدام رجال تتوفر فيهم القدر والكفاءة ولإلتزام، ليحملوا معه عبء المسؤولية الثقيلة أمام الله وأمام الشعب، فحرص عبد القادر أيما حرص على اختيار معاوينة[2].

بادر بتنظيم الجهاز الحكومي، فاهتم بترتيب الإدارة وتنظيم دعائم الحكم، وتوطيد معالم الدولة الجزائرية سياسيا وحربيا واجتماعيا[3].

وتميز نظام دولة الأمير عبد القادر بأنها نظام مركزي يخضع لسلطة عليا[4]، فأنشأ الوزارة وألفها من المقاعد التالية:

رئيس الوزراء: يقوم بهذه المهمة الأمير عبد القادر الملقب بناصر الدين[5].

---

[1] – مجاهد مسعود، المرجع السابق، ص:155.

[2] – عبد الرزاق بن سبع ، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين ،2000 ، ص: 25.

[3] – الجيلالي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص:289.

[4] – مجلة الصادر، أبو العمران سامية، الأمير عبد القادر الجزائري رمز المقاومة الجزائرية، بمصدرها المركز الوطنية للدراسات والبحث للحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، العدد11، س1، الجزائر، 2005، ص:74.

[5] – مجاهد مسعود، المرجع السابق، ص: 155.

وزارة الداخلية: وأسندها إلى السيد محمد بن العربي.

وزارة الخارجية: أسندها إلى السيد أبي محمد الحاج ميلود بن عراش.

وزارة المالية: أسندها إلى السيد أبي عبد الله الحاج الجيلالي بن فريحة.

وزارة الأوقاف: وأسندها إلى السيد أبي عبد الرحمان الحاج طاهر أبوزيد.

وزارة الأعشار وصنوف الزكاة: وأسندها إلى السيد أبي محمد بن الجيلالي بن هادية، وكانت الجباة تخرج مرتين في السنة، مرة في الربيع لجباية الزكاة ومرة في الصيف لجباية الأعشار.

وزارة الحربية: أسندها إلى أحد أقارب السيد محمد الجيلالي، ومهمة هذه الوزارة هي ضرب السكة وصنع الأسلحة والذخيرة وما يتعلق بأدوات الحرب، ولها معامل ومراكز في أنحاء القطر.

وزارة الخزينة الخاصة: وتولها السيد أبو سعيد محمد بن فاخة[1].

وهناك مراكز إدارية مهمة أضيفت إلى النظارات وأنشئت لتسيير الأمور الخاصة أهمها :

كتابة الديوان الأميري: أسندت إلى ابن عمه أحمد بن علي بن أبي طالب، والسيد مصطفى بن أحمد التهامي، ثم نقل الاثنان لقيادة مقاطعتين عسكريتين، الأولى إلى فليتة والثانية معسكر، وقد خلفهما لهذا المنصب محمد بن الخروبي، ثم محمد بن عبد الرحمان المرسلي، وأخير مصطفى العوني[2].

والحجابة، والقضاء بنوعيه المدني والعسكري، والإفتاء والعدل وإدارة الموسيقى، وشؤون الإسطبل، وحامل اللواء، والملبوس الأميري، وبقية الوظائف الأخرى الصغيرة كالكتيبة وغيرهم، وكذلك السقاية لها موظفون أيضا[3].

[1] – بوعزيز يحي، بطل الكفاح الأمير عبد القادر الجزائري، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر،2009، ص:74.

[2] –حرب أديب، المرجع السابق، ج2، ص:43.

[3] – بوعزيز يحي، المرجع السابق، ص: 74.

كانت تعد من أحسن الوزارات في القرن 19م ، لما اشتهرت به من دقة ونظام ولما عرف عن أعضائها من خبرة فنية ومهارة علمية وسياسية وكفاءة حربية فائقة، مما جعلهم يتبؤون هذا المركز الممتاز ويقومون خير قيام بالمسؤوليات الملقاة على أكتافهم.

واختار الأمير الحاشية الخاصة به، وأنشأ مجلسا للشورى بلغ عدد أفراده أحد عشر عضوا، قال تعإلى: ﴿**وأمرهم شورى بينهم**﴾[1]، وجعل على رأسهم قاضي قضاة الجزائر[2].

ويتركب مجلس الشورى من:

- أحمد بن التهامي.
- عبد القادر بن ركوش.
- عبد الله سقاط المشرفي.
- الطاهر المحفوظي.
- محمد المحفوظي.
- أحمد بن الطاهر بن الشيخ المشرفي.
- محمد بن المختار الورعي.
- المكي الحرنوبي.
- مختار بن المكي.
- الحاج عبد القادر بن ركوش الأكبر.
- إبراهيم القوطي[3].

[1] - سورة الشورى، الآية: 38.

[2] - مياسي إبراهيم، لمحات... من جهاد الشعب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2007، ص:40.

[3] - بوعزيز يحي، المرجع السابق، ص :73، 74.

المقاطعات:

كان حكم الأمير وولايته في بادئ الأمر مقصورا على عمالة وهران فقط، ثم بفضل مجهوداته الحربية التي بذلها ونفوذه السياسي والاجتماعي، استطاع أن يكتسح معظم بلاد المغرب الأوسط (الجزائر)، واضطر إل تقسيمها إلى ثمانية مقاطعات[1] :

- تلمسان عاصمتها(تلمسان) ومركزها وتثقون: ولى عليها محمد البوحميدي وبامارته1303 مقاتل[2].
- معسكر عاصمتها معسكر ومركزها آرزيو: ولي عليها محمد بن أبي فريحة المهابي، وبعد مقتله ولي الحاج مصطفى التهامي الذي جمع بين رئيس الديوان ومجلس الشورى، وضع تحت تصرفه
  1520 مقاتل.[3]
- مليانة وضواحيها وعاصمتها مليانة: ولي عليها السيد محي الدين بن علال القليعي ثم السيد محمد بن علال أحد أقاربه.

وتمتاز هذه المقاطعات الثلاثة بأن لكل منها مرسى تخصصها لتجارة والتصدير والتوريد، فالتلمسان مرسى رشقون ولمعسكر مرفأ آرزيو وبمليانة مرفأ شرشال.

- مقاطعة التيطري عاصمتها المدية : وعين خليفته أخاه مصطفى بن محي الدين، ولكن لم يتقبل هذا المنصب معينا مكانه البركاني، الذي جمع وحدات قتالية بلغ عددها 6830 مقاتل[4].

[1] -بوعزيز يحي، المرجع السابق، ص:79.
[2] - اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص: 53.
[3] - بوعزيز يحي، المرجع نفسه، ص: 79.
[4] - اسماعيل العربي، المرجع نفسه، ص:53.

- مقاطعة مجانة عاصمتها سطيف: ولي عليها محمد بن عمر العيساوي، ولم تزد يوما قواته عن350 مقاتل[1].
- مقاطعة الزيبان والصحراء الشرقية عاصمتها بسكرة: ولي عليها فرحات بن سعيد ثم حسن بن عزوز ثم محمد صغير بن عبد الرحمان بن أحمد بن الحاج[2].
- مقاطعة جبال القبائل الكبرى أو برج حمزة عاصمتها برج حمزة : ولي عليها أحمد بن سالم، وبلغ عدد جيشه4350 مقاتل. مقاطعة الصحراء الغربية: عاصمتها الأغواط ولي عليها قدور بن عبد الباقي ومعه جيش يكون من8380 مقاتل[3].

تميزت دولة الأمير عبد القادر بحسن التنظيم، إذا كانت كل منطقة تنقسم إلى دوائر وكل دائرة منها يرؤسها (آغا)، الذي كان يعين لمدة سنتين قابلتين للتجديد، وكل دائرة كانت تنقسم إلى وحدات إدارية صغيرة يحكمها قائدا يعين لمدة سنة قابلة للتجديد، ويساعد هذه القائد الشيوخ في كل قبيلة أو قرية يعينون لمدة غير محددة [4].

ومن مظاهر العبقرية للأمير في هذا الموضوع أنه أقصى جميع العمال الذين كانوا في عهد الدولة الجزائرية التركية[5].

كان تعيين الخليفة يقرر داخل الديوان الأميري، وعند تكليفه بمهماته يسلم خاتما نقش عليه اسمه ولقبه، ويعطي برنس جوخ حسب رتبته، بعد ذلك يحلف على صحيح البخاري بيمين الطاعة والعمل بإخلاص والتضحية في سبيل إمارته وشعبها[6].

[1] – حرب أديب ، الرجع السابق، ص 52.
[2] – بوعزيز يحي ، المرجع نفسه، ص:79.
[3] – حرب أديب ، المرجع نفسه، ص: 53.
[4] – بوحوش عمار ، تاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، دار الغر الإسلامي، ط2، 2005 ،ص:110.
[5] – بوعزيز يحي، المرجع السابق، ص:80.
[6] – حرب أديب ، المرجع السابق، ص:52.

ويمتاز كاتب الديوان الأمير بكونه هو الذي يختم على المراسيم التي يصدرها الأمير، يختمها بطابع الأمير الخاص، وهو عبارة عن خاتم كبير الحجم نقش عليها في دائرته:

«ومن تكون برسول الله نصرة إن تلقى الأسد في آجامها تجم».

وفي جوانبه: «الله، محمد، أبوبكر، عمر، عثمان، علي».

وفي وسط الدائرة: الواثق بالقوة، المتين، ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين. والتاريخ(سنة 1248ه)[1].

لقد اعتمد الأمير في تعيين هؤلاء القادة أسس جديدة وقواعد، ثابتة فكان يختار العالمين بمبادئ الدين الإسلامي والشريعة والمتفوقين في ساحات القتال، فقد تمتعوا بصلاحيات عسكرية مطلقة وأداروا شؤون الجند وأشرفوا على تعبئة طاقات الشعب للحرب[2].

الجيش:

التنظيم العسكري: اعتن عبد القادر بالشؤون العسكرية وأولها اهتمامه، وكان له جيش دائم حقق له أهدافه الداخلية والخارجية[3]، لذا عكف على إعداد الجيش وتدريبه وتنظيمه على النظم والأساليب الحربية الحديثة بقدر الإمكان فأعد الدفاتر الأميرية لراغبين في التجنيد، وأذاع ذلك بين القبائل، وجعل الجيش من ثلاث فرق، فرقة المشاة، فرقة الخيالة، فرقة المدفعية، ووضع للجيش قوانين وضوابط[4].

[1] – بوعزيز يحي، المرجع السابق، ص: 75.

[2] – حرب أديب، المرجع السابق، ص:53.

[3] – حرب أديب، المرجع نفسه، ص: 72.

[4] – شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ليبيا–تونس– الجزائر– المغرب ، مكتب الأنجلو المصرية، ط1، القاهرة، 1977، ص: 277.

وحرص على حشد طاقاته البشرية والمادية في كافة أنحاء الدولة تحت اشراف خلفاءه، وقد تأثر في ترتيب وحداته إلى حد كبير بالقوانين الأجنبية الفرنسية والتركية، وأكسبته معارك ضد القوات الفرنسية خبرة وتجربة[1].

وكان للأمير جيش منظم فتي على غرار الجيوش الأوروبية الحديثة والفتاكة، بلغ عدده في أحد الأوقات "15300" خمسة عشرة ألف وثلاث مائة جندي مزودين بأحسن الآلات الحربية الحديثة وأحدث الأسلحة العصرية[2].

لم يسمح الأمير لقواته بشراء الأسلحة والذخيرة إنما حصر هذا العمل به وبمن ينتدبه، وإذا لم تكفي البنادق التي كانت تنتجها مصانعة في معسكر وتاغدمت منذ 1837م بحاجة مشاته النظاميين زودهم ببنادق أغلبيتها فرنسية، ولم يستعملوا البنادق ذات المغالف بتاتا رغم سهولة الحصول عليها[3].

تألف جيش عبد القادر من:

أ-الجيش النظامي.

ب-الجيش المساعد أو غير النظامي[4].

1-**الجيش النظامي**: هو جملة العسكريين الموجودين في الخدمة الفعلية و المتطوعين[5]، وقد قسمه إلى أصناف ثلاثة:

[1] - بوعزيز يحي، المرجع السابق، ص:82.
[2] - حرب أديب ، المرجع السابق، ص ص:72،73.
[3] - أبو العمران سامية ، المرجع السابق، ص:43.
[4] - حرب أديب ، المرجع نفسه، ص:74.
[5] - حرب أديب، المرجع نفسه ، ص:75.

أ-الراكبون: وسماهم الخيالية.

ب-المدفعيون: وسماهم الرماة أو الطوبجية.

ج-المشاة: وسماهم العسكر المحمدي.[1]

د_الحرس الأميري.

وقد سمى الأمير جيشه النظامي(الجيش المحمدي) وهو جيش حديث، فرتب الصفوف واختار الجند من ذوي الشجاعة والإيمان وهم من زعماء القبائل، ووضع له قوانين في كتاب له صنف الدرجات بين ضباط صغار وضباط كبار [2].

إن كتائب الجيش النظامي التي أحكم اختيارها وتدريبها، كانت كل واحدة منها تشكل نواة للمقاومة المنظمة تنظيما عقلانيا في المدن و الأرياف[3].

ونعرف مجموعة العسكريين كلا بدرجة الرتبة التي تناسبه:

القوم الراكبون أو سلاح الخيالة: يتولى قيادة سلاح الخيالة قائد يعينه الأمير يشرف على تدريب وتجهيز الجيش وإعداده للقتال، ويتألف هذا القسم من كتائب تضم كل منها ألف فارس، والكتيبة تنقسم إلى سرايا عدد أفراد الوحدة 50 فارسا وهي فصيلة يأمرها رئيس الصف ويساعده جاويش[4]، وعين لكل ألف كاتب[5].

[1] - بوعزيز يحي ،المرجع السابق،ص: 82.

[2] - أبو العمران سامية، المرجع السابق ،ص:43 .

[3] - الأشرف مصطفى، الجزائر الأمة والمجتمع، تر :حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص:116.

[4] -جاويش: كلمة تركية معناها الرقيب أو العريف، أنظر، حرب أديب ، المرجع السابق، ص:79.

[5] - حرب أديب ، المرجع نفسه، ص:79.

العسكر المحمدي أو المشاة: يأمر السلاح قائد يعينه الأمير عبد القادر يقوم بأعباء القيادة المباشرة على وحداته فينظمها ويدبرها ويسهر على تجهيزها لتنفيذ المهام، وقد عين القيادة هذا السلاح الكثير من الذين حاربوا معه أمثال قدور بن بحر [1].

الطوبجية أو سلاح المدفعية: يشكل سلاح المدفعية القوة الثالثة في جيش الأمير النظامي، فقد سمي قائده باش طبجي[2]، وأختار لهذا المركز محمد آغا المعروف بإبن الكسكسه، الذي أو كل إليه قيادة العناصر والتدريبها، ويتألف من مائتين وأربعين عنصرا، قدموا عشرين مدفعا فقط لكل مدفع رئيس ونائب له.([3]

الحرس الأميري: هي مجموعة من خمسمائة جندي بإمرة آغا، اتخذهم الأمير لحمايته أثناء السير لحراسته ليل نهار، وفي القتال عند التوقف، كانت أسلحتهم محلاة بالذهب والفضة ومرجعة بالمرجان[4].

وأنشأ الأمير المارستانات (المستشفيات) لمرضى العساكر، وجعل بكل مستشفى منها أربعة أطباء[5]،إلا أن هؤلاء الأطباء ليسوا متخصصين إنما يتمتعون بخبرة كافية تؤهلهم لمعالجة الأمور الغير معقدة، كتضمين الجروح وتجبير العظام، وعند حصول أية مشكلة تتعدى معرفتهم كانوا يستشيرون طبيب العاصمة أبي عبد الله المزروالي المتخصص في الطب ويساعده في مهمته أحيانا وارنيه"warnier" الطبيب الفرنسي بقنصلية وهران مع النقيب دوما [6]"DAUMAS"، وأبو عبد الله المزروالي هو طبيب الأمير الخاص لرئيس الأعلى للأطباء[7]

[1] –الجزائري محمد بن عبد القادر، المرجع السابق، ص191.

[2] – باش طوبجي: الباشا ومعناه الرئيس، والطويجي ومعناه المدفع كلمة تركية وتعني رئيس المدفعية، أنظر، حرب أديب، المرجع السابق ، ص:83.

[3] – حرب أديب، المرجع نفسه، ص،ص:80،83.

[4] – حرب أديب، المرجع نفسه ، ص: 84.

[5] – شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص: 274.

[6] – حرب أديب ، المرجع نفسه، ص: 84.

[7] – شوقي عطا الله الجمل، المرجع نفسه، ص: 274.

2_ الجيش المساعد أو غير النظامي:

شكلت قوات الأمير عبد القادر غير النظامية القسم الأكبر من جيش الإمارة، فكانت تسرع للالتحاق بالوحدات النظامية لتقاتل في صفوفها عندما يدق النفير، ثم تعود إلى ديارها فور انتهاء العمليات الموكلة إليها[1]، وكانت هذه القوات خلال الفترة الأولى قد بلغت حوالي 60000 جندي، وكان هذا العدد يشمل جميع الوحدات التي كانت القبائل تمتده بها في حالة الطوارئ، والتي كانت قوة احتياطية ضخمة رغم أنها مؤقتة لأنه لا يستطيع أن يحتفظ بالجنود بعداء عن قبائلهم مدة طويلة، وكان لديه مؤشر جيش نظامي[2].

فقد بلغ الجيش الغير النظامي حوالي83 ألف مقاتل من مشاة وفرسان في أفريل1838م، و53ألف عندما أعلن الأمير الحرب على الفرنسيين في 18 تشرين الثاني من العام التالي، وقد تعدت نسبة الفرسان السبعين ألف[3].

تدريب الجيش:

وكان مدربو جيشي النظامي من المشاة هم جنود النظام، من تونس، وطرابلس، بالإضافة إلى الفارين من الجيش الفرنسي[4].

وفرض الأمير على عناصره الطاعة لمدربهم، والانتباه التام أثناء التعليم، ليكشفوا معلومات تؤهلهم لمحاربة الجيش الفرنسي وفرض النظام الداخلي وحثهم على التقيد بقواعد السلوك وحسن التصرف مع جميع الرؤساء، و المدربين الذين أعطاهم الكثير من المعلومات العسكرية وأفهمهم المبادئ القتالية، وكيفية استعمالها عند الضرورة[5].

---

[1] –الجزائري محمد بن عبد القادر الجزائري، المرجع السابق، ص ص: 208.191.

[2] – تشرشل شارل هنري ، المرجع السابق، ص: 140.

[3] – حرب أديب ، المرجع السابق، ص:85.

[4] – تشرشل شارل هنري ، المرجع نفسه، ص:141.

[5] – حرب أديب ، المرجع نفسه، ص: 121.

ويتعرض التلميذ الجندي إلى أشد العقوبات إذ لم يتابع التعليم بانتظام، أو لم ينفذ ما يطلب منه بسرعة، واندفاع، وانطلاقا من ذلك فرض على العسكر المحمدي أن يتعلموا دروس الأسلحة الخاصة بالبندقية بغية استعمالها بسهولة، وفي جميع الحالات، وحفظ طرف تفكيك وتركيب أسلحتهم وكيفية التسديد، وهذا بالنسبة لسدنة المدفعية، أما الفرسان النظاميون، فأعفوا من التدريب متبعين حرب المعارك الفردية والكمائن والمفاجأة[1].

يحرس على تحديث الجيش وأدواته الحربية وما وسعه ذلك، كما شيد كثيرا من الحصون أشهرها:"سعيدة" و "سبدو" و "بوغار" و "عريب" و "طازة"[2]، ولقد نجح في سياسته وتجاوز الطبقية بين الحاكم والمحكوم[3].

ولم يكن إعداد جيش الأمير ممكنا إلا بعد جهود طويلة شاقه ضد القبائل، وضد أقاربه أحيانا، ويشير تطور أرقام الخيالة والمشاة بين1833م و1840م، إلى الصعوبات التي وجب على عبد القادر أن يتغلب عليها ليصل باستمرار إلى أربعة عشر ألف من الخيالة، وعشرين ألف جندي وأحيانا إلى ستين ألف من حوله[4].

وكان جيش الأمير جيشا نظاميا على أحسن طراز وجيشا من المتطوعين الفدائيين، ورتبت أموره بحكمة قائد مدرب يحسن القيادة الحربية إلى جانب القيادة المدنية، فساق جيشه في كل الميادين، وأنزل بالأعداء ضربات فتاكة، وتحمل ضرباتهم بصبر وجلد[5].

---

[1] –الجزائري محمد بن عبد القادر ، المرجع السابق، ص ص: 111،113.

[2] – طازة: نسبه إلى تازا المغربيةفي الجنوب شرق مليانة عند منتصف الطريق من قصر بوغاروشنة، العدو بنى فيهاطاحونة حركة الماء، وعدد من المنازل في منتصف 1898م،وكان الخليفة بن علال خليفة مليانة وهو الذي كلف بعمليات البناء والتشيد في تازا وقد إحتل الجيش الفرنسي هذا الحصن وخربه سنة 25ماي 1841م،أنظر، الكلونيل سكوت،عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر،تر،إسماعيل العربي،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، 1981،ص 102.

[3] – بركات محمد مراد ، الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي، دار النشر الالكتروني، جامعة عين شمس، ص: 17.

[4] – آيتين برونو، المرجع السابق، ص: 162.

[5] – المدني أحمد توفيق، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص: 86.

وقال وهو يفتخر بنفسه وجيشه :

لنا في مكرمة مجـــال ومن فوق السماك لنا رجال
ركبنا للمكارم كل هول وحضنا أبحرا ولها زجـــال
إذا عانى توانى الغير عجزا فنحن الراحلون لها عجال
سوانا ليس بالمقـــــصود ينادي المستغيث إلا تعالوا .[1]

[1] ـالجزائري محمد بن عبد القادر ،المرجع السابق،ج1،ص: 298.

المبحث الرابع:

معاهدات الأمير(دي ميشيل وتافنة) وبعض معاركه:

أ- معاهدة دي ميشل:1834/02/26[1]:

بتوالي انتصارات الأمير وجيشه اضطر"دي ميشيل" الفرنسي حاكم وهران أن يعقد معه هدنة في 1249هـ-28 فيفري 1834م اعترف فيها بإمارته على كامل البلاد في مقابل إقراره لفرنسا بالسلطة على مدن: الجزائر ومستغانم ووهران وآرزيو[2].

واستفاد الأمير من المعاهدة التي وقعها مع ملك فرنسا والتي شكلت إعترافا صريحا لدولته واعتراف السلطان المغربي عبد الرحمان بن هشام به كقائد وبدولته الجزائرية مؤكدا ذلك[3].

نص المعاهدة:

إن الجنرال دي ميشيل قائد القوات الفرنسية في إقليم وهران وأمير المؤمنين سيدي الحاج عبد القادر بن محي الدين قررا العمل بالشروط التالية:

المادة01: ابتداء من اليوم يتوقف القتال بين الفرنسيين والعرب، إن القائد العام للقوات الفرنسية وأمير المؤمنين سيبذلان جهدهما، كل من جهته، لإحلال الود والإخلاص بين شعبين حكم الله عليهما أن يعيشا تحت نفس السلطة، ولهذا الغرض سيرسل أمير المؤمنين ثلاث قناصل من جهته أحدهم إلى وهران وثانيهم إلى آرزيو وثالثهم إلى مستغانم، وسيرسل الجنرال من جهته أيضا، قناصل إلى معسكر لمنع التزاع بين الفرنسيين والعرب.

---

[1] - معاهدة دي ميشيل: تحمل هذه المعاهدة إسم الجنرال دي ميشيل، وتم عقدها في عام 1834م ومثلت هذه المعاهدة أول انتصار عسكري وسياسي للأمير عبد القادر، أنظر، بن خليفة عبد الوهاب،الوجيز في تاريخ الجزائر من1830إلى1945،تق قلالة سليم،دار بني مزغنة،ط2 1427هـ-2006م ص79.

[2] - بوعزيز يحي: الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري سيرته الذاتية وجهاده، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص:51.

[3] - منور العربي، المرجع السابق، ص:153.

المادة02: إن دين وعادات المسلمين ستكون دائما محل إحترام وحماية.

المادة03: إن المساجين الفرنسيين سيطلق صراحهم حالا، وكذلك المساجين العرب.

المادة04: ستكون السوق حرة ولن يعترض أي الطرفين فيها طريق الآخر.

المادة05: كل العسكريين الذين يفرون من عند الفرنسيين يجب على العرب إعادتهم إلى الفرنسيين، وكذلك الفرنسيين الذين يفرون من العرب فرارا من العقوبة على مخالفة ارتكبوها والذين هربوا إلى الفرنسيين، سيسلمون فورا في عين المكان إلى قنصل الأمير في وهران أو في آرزيو أو في مستغانم.

المادة06: كل أوربي يريد التنقل داخل البلاد سيحمل معه جواز سفر عليه ختم قنصل الأمير وختم القائد العام للإقليم حتى يكون حامل هذا الجواز محل احترام وحماية أينما حل بالبلاد[1].

نقض الهدنة:

ولوكان الوقت في صالح الأمير لكانت دولته من الدول الكبرى، ولكن الفرنسيين قوم غدارون لا يعرفون للعهود، قيمة ولا يقدرون المواقف الإنسانية، فعمدوا إلى نقض الهدنة، بجملة من الالتواءات والأباطيل، وعديد من التفسيرات العقيمة للفظة "هارب" التي يريدون أن يحملوها غير معناها المراد والمقصود في نص المعاهدة .

نقض تريزيل الهدنة و لم تمض عليها أكثر من عام واحد: وكان جواب الأمير على قوله: "إن كنت ولا بد معتمدا على إنقاذ ما صورته أفكارك من إدخالهم تحت حوزتك فاطلب وكيلكم من عندي، وأختر لنفسك ما يحلو، وميادين المعامع تقضي بيننا ومسؤولية إرهاق الدماء وإتلاف الأموال راجعة إليك وعليك.

[1] – تشرشل شارل هنري، المرجع السابق، ص ص: 300-301.

وبعدها ناد الأمير جيشه للجهاد واستجابوا لندائه وتجندوا للجهاد وكان تريزيل يعد العدة لذلك اليوم رغم أن قواته كانت أكبر من قوات الأمير وجرت المعركة الشهيرة شرق مدينة آرزيو معركة المقطع التي حقق فيها الأمير انتصارا ساحقا على الفرنسيين وبعدها عزل "تريزيل" وخلفه "كلوزيل" الذي أراد أن ينتقم لموتى المقطع ولكن دون جدوى رغم كثرة قواته وهذا أيضا أانتصار آخر حققه الأمير وكان ضربة قاضية للجيش الفرنسي الذي تفادى مواجهة الأمير في الميدان[1].

أما الجنرال تريزيل فإنه رأى أن طريقه الذي جاء عليه قد سد في وجهه وانعطف راجعا إلى وهران عن طريق آرزيو، ولما رآه الأمير أنه سلكها خف في ألف فارس وأردف كل فارس منهم عسكريا من المشاة وسيق بهم إلى مجاز نهر هبره المعروف "بالمقطع" وليس لذلك لنهر مسلك غيره فأحاطت جيوش المسلمين بالجنرال وعساكره وأضرموا عليه نار الحرب حال السير من كل جهة، واستمروا على ذلك إلى أن قاربوا المقطع.

وكان الأمير وصل إليه فلما رأته مقدمة الجنرال ارتدت على أعقابها واضطرب العسكر الفرنسي، وخاض بعضه في بعض، واختل نظامه وأرجعه المسلمون إلى غياض النهر، وأذاقوه نكال الحرب، وأثخنوا فيه بالقتل والحرب، واستولى الغرق في النهر على عدد كبير منهم، إنسل الجنرال "تريزيل"ومن بقي معه إلى ساحل البحر،تاركين القتلى والجرحى وسائر ماخرجوا به من وهران في أيدي المسلمين، وفي الساعة السابعة ليلا دخلوا إلى آرزيو على أسوء حال[2].

وتعود خلفيات معركة وادي المقطع بين جيوش الاستعمار الفرنسي وجيش دولة الأمير عبد القادر إلى تدخل بعض الجهات الفرنسية والأوروبية الضاغطة على السلطة الفرنسية في باريس التي

[1] – بوعزيز يحي، المرجع السابق، ص ص: 52-53.

[2] – الجزائري محمد بن عبد القادر، ج1، المرجع السابق،ص: 152.

لم ترضيها نتائج معاهدة دي ميشيل المنعقدة بين ملك فرنسا والأمير قائد دولة الجزائر بتاريخ: 21 فبراير 1834 والتي كرست سيادة دولة الأمير واعترفت بها رسميا[1].

ب- معاهدة تافنة 30 ماي 1837م:

حين وقعت معركة "وادي تافنة" تقابلت قوات الأمير عبد القادر مع الجنرال بيجو وقواته، وإنهزم فيها وفقد من رجاله(3500) جندي، وخرج عنه ما يقارب (500) جندي يهتفون بسقوط فكرة الاحتلال كامل التي يدعوا ويتعصب إليها، حدث هذا في نفس الوقت الذي هزمت فيه القوات الفرنسية بقيادة كلوزيل أمام حامية قسنطينة وانكسرت وتحملت ويل الهزائم الشنيعة الشهيرة على يد أحمد باي زعيم بايلك الشرق ورائد المقاومة به[2].

وكان هدف الفرنسيين من سلم الأمير عبد القادر من أجل القضاء على مقاومة أحمد باي الذي قاوم الاستعمار في جهة الشرق إلى حين من الزمن[3].

وإزاء هذا التقدم العظيم الذي حصل عليه الأمير، وفي الميدان العسكري، أضطر الأمير بيجو إلى عقد صلح آخر معه دعي بـــ " معاهدة تافنة"[4]، في يوم 30 ماي 1837م، وكانت هذه المعاهدة اعترافا صريحا من حكومة فرنسا بإمارة الأمير التي أصبحت تشمل ثلاثة أرباع مقطعة الجزائر زيادة عن ولاية وهران كلها[5].

---

[1] – منور العربي، المرجع السابق، ص: 154.

[2] – بوعزيز يحي، المرجع السابق، ص:56.

[3] – منور العربي، المرجع السابق، ص:157.

[4] – تافنا: اسم نهر بإقليم وهران يصدر من جبال بني سنوس ويصب في البحر الأبيض المتوسط على بعد حوالي خمسين كلم، أطلق اسمه على معاهدة تافنا 30ماي 1837 مابين الأمير عبد القادر. والجنرال بيجو، ودامت سنتين 1837-1839 فقد نصها العربي فترجم الفرنسيون النص الفرنسي واعتبروه هو النص الأصلي36.

[5] – أنظر، مناصرية يوسف، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832-1847، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990، ص: 72.

وفي نفس الوقت وفرت معاهدة تافنة للاستعمار مكاسب، كان أهمها وصول إمدادات جديدة من الجيوش والعتاد العسكري وإعادة تنظيم الكثير من الوحدات العسكرية وتدريبها على حرب العصابات والكمائن لمواجهة جيش الأمير[1].

نص المعاهدة:

الجنرال بيجو حاكم جيوش الفرنسيين في وطن بلاد وهران والأمير عبد القادر اتفقوا بينهم على الشروط الآتية[2].

المادة01: يعترف الأمير بسلطة فرنسا في الجزائر.

المادة02: يبقى لفرنسا في إقليم وهران ومستغانم ومزغران وأراضيها.

المادة03: على دولة فرنسا أن تعترف بإمارة الأمير عبد القادر على إقليم وهران وإقليم التيطري والقسم الذي لم يدخل في حكم فرنسا ولا يسوغ الأمير أن يمد يده لغير ما ذكر من أرض الجزائر.

المادة04: ليس للأمير سلطة على المسلمين وعلى أهل البلاد الملوك لفرنسا، ويباح لفرنسا أن يسكنوا مملكة الأمير كما يباح للمسلمين السكن في البلاد التابعة لفرنسا.

المادة05: إن العرب الساكنة في الأراضي الفرنسية تمارس سيادتها بحرية تامة تحت رئاسة علماء دينهم الإسلام.

المادة06: على الأمير أن يدفع للقوات الفرنسية ثلاثة آلاف كيلة من الحبوب وخمسة آلاف رأس بقر.

المادة07: يسوغ الأمير أن يشتري من فرنسا البارود والكبريت وما يحتاجه من الأسلحة.

[1] – منور العربي، المرجع السابق، ص:159.

[2] – تشرشل شارل هنري، المرجع السابق، ص: 302.

المادة08: إن الكراغلة[1]، الذين يريدون أن يقيموا في تلمسان أو غيرها من المدن الإسلامية لهم أن يتمتعوا بأملاكهم بكامل الحرية، ويعاملون معاملة الحضر، والذين يريدون الإنتقال إلى الأراضي الفرنسية تكون لهم الفرصة على بيع أملاكهم بكل حرية.

المادة09: : تسلم فرنسا رشقون، تلمسان، والمشور إلى الأمير ويلزم بأن يوصل البارود والسلاح لعسكر الفرنسيين بتلمسان.

المادة10: التجارة تكون حرة بين العرب والفرنسيين.

المادة11: يكرم الفرنسيون عند العرب، كما يكرم العرب عند الفرنسيين.

المادة12: يكون رد المجرمين بين الطرفين متبادل.

المادة13: يتعهد الأمير ألا يعطي أحدا من الدول الأجنبية قسطا من الأراضي إلا برخصة من فرنسا.

المادة14: لا يسوغ الأمير بين محصولاته أو لوازم الإقليم ولا شراء إلا في الأسواق الفرنسية.

المادة15: لدولة فرنسا أن تعين في المدن التي في مملكة الأمير وكلاء ينظرون في أشغال الرعايا الفرنسية وحل مشاكلهم التجارية، وكذلك الأمير يضع وكلاء من طرفه في المدن الفرنسية. حررت في تافنا جويلية 1837[2].

[1] – الكراغلة: هم الحزب الثاني المنشق عن طاعة الأمير بمدينة تلمسان ويترأس هذا الحزب أو هذه الطائفة المازاري، وقد مالوا إلى الفرنسيين ضد الأمير، وهم أتراك من أب تركي وأم جزائرية، أنظر، بوعزيز يحي، المرجع السابق، ص:57.

[2] – دردار فتحي، الأمير عبد القادر الجزائري بطل المقاومة الجزائرية1847/1832، الجزائر 2001، ص: 46.

أما فرنسا فقد عقدت المعاهدة لمدة زمنية حين كان هدفها التوجه نحو مدن الشرق وذلك لإحتلالها، وكذلك لمنع الأمير من مساعدة أحمد باي بالشرق، وهذه الخطوة تعد من الإستراتيجيات الفرنسية للإحتلال الكامل[1].

نقض معاهدة تافنا:

واصل الأمير البناء والتشييد، ولكن الفرنسيين عمدوا مرة أخرى إلى نقض المعاهدة لما لديهم من الأباطيل والأكاذيب، وطرق المغالطات اللفظية، والتأويلات المغرضة، ولكن الأمير لم تنطل عليه الترهات والأباطيل الفرنسية المكشوفة، أعلم الفرنسيين في 27 رجب 1255هـ/16 أكتوبر 1839م)، بإنهاء معاهدة الصلح والرجوع إلى حالة الحرب الأولى، دفاعا عن الوطن، وحفظا لكرامة الشعب وصونا لحقوقه وشرفه وأخذ جميع احتياطاته وتدابيره وهاجم العدو بكل عنف وشدة، وأخذت المعارك بين الأمير وجيش الاحتلال تتطور وتكبد المحتلين خسائر لا تقدر في الأرواح والعتاد لكن العدو كثرت قواته ونجدانه حتى أصبحت أعداده كأعداد الجراد، وتمكن من احتلال عاصمته الثانية "الزمالة " في سنة 1834م وهو غائب عنها وأظهر الفرنسيون وحشيتهم بقتل الشيوخ والأطفال والنساء وفيها استشهد الخليفة محمد بن علال الذي أبدى شجاعة كبيرة في المعركة، وكان صفي الأمير في الجهاد وعضده الأيمن في الإدارة والكفاح[2].

وبعد أن خرق الفرنسيون معاهدة تافنا، قام الجنرال المجرم بيجو بمطاردة جيش الأمير والتنكيل بالقبائل الموالية له، واتبع سياسة الأرض المحروقة لإرهاب أتباع وأنصار الأمير، مما جعلهم يرتكبون جرائم فضيعة في حق الجزائريين، جرائم ضد الإنسانية لا تتقادم بفعل الزمن[3].

[1] – فركوس صالح، المرجع السابق، ص: 35.

[2] – بوعزيز يحي، المرجع السابق، ص ص: 52-53.

[3] – منور العربي، المرجع السابق، ص:159.

إن عقد المعاهدتين الهامتين: معاهدة دي ميشيل والتي تم التوقيع عليها رسميا في وهران والتي تقر باعتراف فرنسا بسيادة الأمير عبد القادر على أقاليم وهران، الصحراء، والوسط وقد ألغت السلطات الفرنسية هذه المعاهدة من خلال عزل الجنرال دي ميشيل وتعيين الجنرال تريزيل كحاكم عام على وهران والصحراء والوسط وهو ما يوحي بأن الفرنسيين قد نقضو حقوقهم مع الأمير، هذا الاخير الذي فهم الدرس جيدا قام تحشد جيوشه وإحتلال مدينة مليانة بتاريخ:02 أبريل م1835، ثم فيما بعد منطقة التيطري كما تمكن كن محاصرة مدن تلمسان ووهران ومتيجة، هذه الخطوة التي أقدم عليها الأمير عبد القادر هزت أركان الإحتلال الفرنسي وهددت جهوده في الجزائر وجعلته يعيد حساباته من جديد وهو ما جعله يهتدي إلى التوقيع على معاهدة تافنا مع الجنرال بيجو والتي تتضمن اعتراف السلطات الفرنسية للأمير بسيادته على مقاطعتي الجزائر ووهران بالإضافة إلى تبادل التمثيل القنصلي، وتجدر الإشارة هنا إلى أن يهود الجزائر بقيادة يهودا بن دوران سعوا إلى إفشال معاهدة "تافنا" لكن فطنه الأمير عبد القادر والجنرال بيجو حالت دون ذلك[1].

[1] – بن خليفة عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ص: 61-62.

بعض معارك الأمير عبد القادر:

لقد خاض الأمير أعنف المعارك مرددا:

سَلُوا الفِرَنْسِيينَ يُخْبِـــرُونَكُمْ وَيَصْدُقُ إِذَا حَكَوا مِنْهِمْ مَقَالُ

فَكَمْ لِي فِيهِمْ مِنْ يَوْمِ حَرْبِ بِهِ اِفْـــتَخَـــرَ الزَمَانُ وَلَا يَزَالُ[1].

معركة عين البريدية 11 جوان 1833:

لم يترك عبد القادر لقوات دي مشيل فترة للاستراحة ففي جوان قبض على سبعة جنود من المدفعية الفرنسية، ونتيجة لذلك خرج دي ميشيل من وهران في صباح 11 جوان على رأس قوات تألفت من ألفين مقاتل من المشاة وخمس مائة فارس وست قطع مدفعية إلى غربي السبخة الكبرى جنوبي وهران، وفي ظهر هذا اليوم عسكرت القوات الفرنسية في مسرغين ثم تابعت تقدمها إلى منطقة تينة أنسلمات[2]، إتجهوا منها إلى عين بريدية، للإنقضاض عليهم، ولما وصل الفرنسيون إلى عين البريدية هاجمهم قوات المقاومة بأمر من الأمير وقاتلتها حتى منتصف، وفي صباح اليوم التالي إنسحبت قوات الأمير إلى الجهة الغربية للبسبخة الكبرى، بينما دخل الفرنسيون إلىوهران في ظهر هذا اليوم[3].

[1] – بوعزيز يحي، المرجع السابق، ص:105.

[2] – Azan,opcit,p19

[3] – حرب أديب، المرجع السابق، ص: 104.

معركة موزيا 12 جوان 1840:

وقعت هذه المعركة كرزازة 1840م عندما قام الفرنسيون بالتقدم نحو المدية كان الأمير في هذه الفترة على مرتفعات مضيف موازية يتهيأ لوقف الزحف الفرنسي، حيث حفرت عناصره مجموعة من الخنادق على تلك المرتفعات وسارع إلى توزيع المهمات على قوات المقاومة كما أمر فرسان أبن علام باتخاذ مواقع في ضواحي حوش موزايا، وكانت مهمتم قطع طريق الرجعة على القوات الفرنسية[1].

أما الجنرال فالي فقام بتقسيم قواته إلى ثلاث مجموعات: الأولى تحت قيادة الجنرال دورفيفيه، والثانية تولاها العقيد لاموريسير، أما الثالثة فقد قادها هو بنفسه بمساعدة الدوق لادوليان[2].

بدأت المعركة في صباح يوم 12 ماي بتقدم مجموعة الدوق لادوليان نحو المرتفعات، كما قامت فرقة الجنرال دورفيفيه بالتوجه نحو مضيق موزايا وفي نفس الوقت تمركزت فرقة الجنرال على مرتفعات الغذاء، أما الأمير كان يراقب الوضع وتحركات فرنسا وأصدر أوامر لقواته بعدم إطلاق النار حتى تصبح القوات الفرنسية في مرماهم[3].

كانت حسائر القوات الفرنسية في هذه المعركة أكثر بكثير من خسائر قوات المقاومة حين أدت إلى مقتل حوالي 84 جندي، وضابط، وجرح مالا يقل عن 152 آخرين، من بينهم الجنرال شوام، والجنرال روميني ومساعده ماريو[4].

وبذلك يكون الأمير قد كبد فالي خسائر كبيرة رغم التباعد في العتاد والعدد وبفضل خطة محكمة، كانت عملية الإنسحاب التي اتبعتها قوات الأمير ناجحة، والتي أصبحت في القرن العشريين كما أظهر في هذه المعركة الدفاع عن كل التراب الوطني وهو ما أكسبه مصداقية

[1] – حرب أديب، المرجع السابق، ص285.

[2] – Azan,opcit,p 164

[3] – حرب أديب، المرجع نفسه، ص298.

[4] – تشرشل شارل هنري، المرجع السابق، ص: 243.

كبيرة،كما أكدت هذه المعركة للفرنسيين أن احتلال الداخل سيكون مكلفا بالرغم من أن ميزان القوة العسكرية في صالحهم[1].

معركة تافريست:

ببلاد المغرب الأقصى تغلب فيها الأمير على عساكر بالأحمر بعد أن قتل قائده، وبعد المعركة وجه الأمير كل ما غنمه إلى سلطان مراكش يقاس وطلب سلطان المغرب الأقصى من الأمير أن يخرج من تخوم مملكته لكن الأمير تغافل و لم يلتفت إليه فاغتاظ وأرسل إلى الشيخ بزيان يأمره باستعمال كل الوسائل الفعالة لإخراج الأمير ودائرية من إيالة مراكش.

واقعة بني عامر في نواحي فاس:

حيث نكل فيها الأمير بمن أغاروا على رعيته المستقرة هناك بعد الهجرة[2].

واقعة قلعة أسوان:

ببلاد المغرب شتت فيها الأمير جيش عبد الرحمان بن هشام سلطان مراكش الذي بلغ عدده خمسين ألفا وذلك في 10 ديسمبر 1847[3].

تلك هي معارك الأمير الشهيرة، وأحداثه التاريخية العظيمة، التي تمثل صراعا بين الحق والباطل، ومعركة كبيرة بين الروح التحريرية ونزعة الاستعمار، كان النصر فيها للحق، والروح التحريرية، وكان أيضا حليفا للأمير في جميعها.

فقد قال تشرشل: «لما رأى الفرنسيون ما أجراه الأمير في نواحي شرشال من أراضي متيجة هما كان سببا في رجوع القبائل إلى طاعته، وشاهدوا انقياد الناس إليه وبذل نفوسهم دونه في

---

[1] - Azan,opcit,p186

[2] – الجزائري محمد بن عبد القادر، المرجع السابق، ص ص: 317-319.

[3] – بوعزيز يحي، المرجع السابق، ص: 110.

أقرب مدة بادروا بإرسال بذر الذهب والفصة رشوة لأكابر القبائل كي يستميلوا بذلك قلوبهم،ويردوهم إلى ما كانوا عليه من الانقياد إليهم، وتارة يهددونهم فلم يجدهم ذلك نفعا و لم يصغ لهم أحد، بل عكفوا على طاعة الأمير وحافظوا على أموالهم وأوطانهم[1].

و لم يكن تشرشل وحده الذي كان يحترم الأمير بل كان هناك ضباط وقواد فرنسيون اعترفوا بما للأمير من شأن ورفعه وكانوا كثيرا ما يزورونه وتخرجون من عنده فرحين لأنه كان قوي الجأش سريع الابتسامة حتى قال أحدهم هؤلاء الضباط ما أكرم هذا الرجل[2] .

[1] – بوعزيز يحي، المرجع السابق، ص: 110.

[2] – مسعود مجاهد، المرجع السابق، ص: 369.

الفصل الثاني

الفصل الثاني

علاقات دولة الأمير عبد القادر ونهاية المقاومة وأثرها على المغرب العربي

المبحث الأول

علاقات الأمير بالدول الأجنبية.

المبحث الثاني

علاقات الأمير مع الدول العربية.

المبحث الثالث

نهاية المقاومة.

المبحث الرابع

أثرها على المغرب العربي.

إذا ما تناولنا مسألة العلاقات الجزائرية خلال الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر، فقد كان لأمير صلات دولية واسعة، ومكثفة، ومتعددة، ومتنوعة مع الكثير من دول العالم والعديد من القادة العسكريين والسياسيين والمفكرين، فقد كان الأمير رئيس دولة يحظى بالتقدير والإكبار من طرف الجميع، بفضل مواقفه البطولية الخالدة في الحرب والسلم، ويرجع ذلك إلى ثقافته الواسعة وتفكيره العميق وسعة إطلاعه على جميع الأمور وحل المشاكل والقضايا، وكان له بعد نظر في القضايا العسكرية والسياسة وبفضل مراسلاته وعلاقاته الكثيرة، استطاعت الجزائر أن تصل إلى مكانة عالية وتعرف في المحافل الدولية، ويعتبر موضوع العلاقات أيا كان نوعه هاما في التاريخ لأنه يمثل العنصر الأكثر أهمية وإثارة فيه.

وبنهاية المقاومة تأزمت الأوضاع في الجزائر وظهرت الانتفاضات الشعبية وأصبح الوضع لا تحسد عليه، فقد تمكن الاستعمار من التوغل في معظم البلاد، والذي زاد الأمر تعقيدا على الأمير انقلاب معظم عناصره عليه، والفرنسيون من جانبهم أرهقوه بالدسائس والمؤامرات فجمعوا قواتهم وحرضوا عليه سلطان المغرب ومما فطر قلب الأمير تخلي شعوب المغرب العربي عنه، الذي اعتقد أنهم سوف ينصرونه على الأعداء ويصدقون المثل القائل:" أنا وابن عمي على العدو"، وهذا ما إضطر الأمير أن يسلم نفسه على يد لاموريسير، وقد نتج عن نهاية المقاومة آثاره جمة على الجزائر والمغرب العربي، فقد دخلت كل من المغرب وتونس تحت حماية فرنسا وفرض عليهما البقاء تحت سيطرتها وسلطتها، وقد قال الأمير:

أن يسلب القوم العدا ملكي وتسلمني الجميع.
فالقلب بين ضلوعه لم تسلم القلب الضلوع.
أجلي تأخر لم يكن بهواه دلي والخضوع.
وما سرت قط إلى القتال وكان من أملي الرجوع.
شيم الأولى أنا منهم والأصل تتبعه الفروع.

المبحث الأول:

أ- علاقات دولة الأمير عبد القادر مع الدول الأجنبية:

فرنسا: الدولة المحاربة له تبادل معها التمثيل الدبلوماسي منذ انعقاد دي ميشيل عام 1834م، فعين سفراء يمثلونه في كل الشؤون، وأوكل إليهم مراقبة العدو في كل من: الجزائر، ووهران، وأرزيو، وعينت فرنسا بدورها في معسكر الكومندان عبد الله ويسون سفيرا لها، وأصله من مماليك أمراء مصر كان يعمل في الجيش المصري كجندي في العسكر المشاة وكان يتردد على الأمير بطلب منه، للإطلاع على المشاكل التي تخص الدولتين، وكان يزور الأعيان والوزراء، كما كان جاسوسا لفائدة فرنسا، لكن الأمير شدد عليه المراقبة.

أما سفراء الأمير فقد طبقوا سياسته حرفا بحرف وخاصة في مشكلة نزوح الأعراب في المدن التي يحكمها الفرنسيون، وعندما أمضى بيجو معاهدة تافنا عام 1837م، واصل السفراء مهمتهم الدبلوماسية على مقتضى روح المسؤولية[1].

بريطانيا: في 11 يناير 1836م واصل محمد بن قلقلة مبعوث الأمير عبد القادر إلى القنصلية البريطانية في طنجة، حاملا رسالتين كتبهما الأمير في سبتمبر وفي أكتوبر 1835م، وكانت الرسالة الأولى موجهة إلى القنصل البريطاني العام في طنجة، وهو السيد دورمان هاي، أما الرسالة الثانية فكانت موجهة إلى ملك إنجلترا وليام الرابع، فكانت هذه هي أول مرة يتصل فيها الأمير عبد القادر بدولة أوروبية غير فرنسا، وكان مضمون هاتين الرسالتين هو طلب المساندة البريطانية عندما تأكد بأن الفرنسيين كانوا سيجمعون أمرهم ويسخرون كل تحضيراتهم الطويلة في حملة ضده[2].

[1] - بوعزيز يحي، المرجع السابق، ص ص: 94،95.

[2] - سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط4، بيروت 2005، ص ص: 138،139.

أمريكا: استطاع دورمان هاي أن يكشف أن نفس المبعوث الذي جاءه في 22 أبريل 1836م، سلم رسالة أخرى مكتوبة في حوالي مارس 1836م، من عبد القادر إلى القنصل الأمريكي في طنجة جيمس روليب، وكان هذا الأخير في جبل طارق وتم توجيه رسالة الأمير إلى هناك من طرف نائبه، ورجع المبعوث دون جواب لأنه أمر بالعودة إلى تلمسان من طرف المعتمد السري، ولم يعرف القنصل الأمريكي أي شيئ عن هذه المراسلة مع البرطانيين كما أنه لم يعرف أن دورمان هاي كان يعرف عن مراسلته ، وقد قدم الأمير في رسالته إلى القنصل الأمريكي عرضا مشابها للبريطانيين مع اختلاف واحد جذري، وهو أن يمتلكوا مرسى جزائري إضافة إلى تموينه من داخل البلاد، بينما لم يعرض على البريطانيين سوى التجارة في أحد المراسي الجزائرية[1].

وقد شرح الأمير الأمريكيين خيانة الفرنسيين وعدم وفائهم بالعهود، وطلب منهم أن يدعموه ويؤيدوه بالأسلحة[2].

إنجلترا: راسل الأمير عبد القادر الملك والحكومة الإنجليزية عن طريق قناصلها بطنجة ومدريد، وطلب منهما التأييد والمساعدة المادية، بعد أن شرح لهما شراسة جيش الاحتلال الفرنسي، وخداع قادته، وعرض على الحكومة الانجليزية أن يمنحها ميناء تنس أو غيره للاستمارة مقابل حصوله على الأسلحة والذخائر الحربية[3] ،والمعروف أن هذه العلاقة مع الإنجليز قد بدأت بعد سنة 1840، وليس قبل هذا التاريخ[4].

[1] –، المرجع نفسه، ص ص:144 ،145.

[2] – يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999، ص: 232.

[3] – يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 33.

[4] – سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ص :137 .

رغم أنها لم تنظر للاحتلال الفرنسي[1]، بعين الرضا، فأعتذر القنصل الإنجليزي بأن حكومة بلاده لاتسطيع القيام بهذا العمل.

اسبانيا: وراسل الأمير ملكة اسبانيا، وحكامها العسكريين في مليلة، وطلب منهم التوسط بينه وبين فرنسا، وتزويده بالأسلحة والذخائر، بعد أن شرح لهم ما يرتكبه الجيش الفرنسي من أعمال القتل والتخريب[2].

[1] – يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر مع إسبانيا وحكامها العسكريين تمليلة، ص ص:92،91.

[2] – بوعزيز يحي، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، المرجع نفسه ، ص: 232.

المبحث الثاني:

علاقات الأمير عبد القادر مع البلدان العربية.

- السلطان العثماني عبد المجيد والصدر الأعظم:

وكانت هذه المراسلة بإلحاح من حمدان بن عثمان خوجة، وشرح لهما وضع البلاد، والنكبات المتوالية التي يلحقها جيش الاحتلال الفرنسي بها، ثم طلب منهما المساعدة والتأييد، والدعم العسكري والسياسي[1].

وقد جاء في رسالة الأمير عبد القادر إلى السلطان العثماني: "من عبد بايكم ومقبل قراب إعتابكم الملتجئ لحاكم المستعطف لرحماكم...خادم حضرتكم وخادم المجاهدين عبد القادر بن محي الدين...سيدنا وابن سيدنا إلى الجد عثمان السلطان عبد المجيد خلن أعانك الله على ما أوك... وإن جيش الكافر المقابل لنا يناهز المائة ألف بسلاح قام وصواعق ومدافع تصير الواحد ضعف...في نفعنا قريب ولا مجاور ولا دافع عنا ذو سبق ومحاور كأن المسلمين لبسو تجسد واحد وكأنه ليس الظلم الواحد...»[2].

تونس: وطد الأمير صلاته بوكيل وحق تونس في جبل طارق، زاكي كرطوزو اليهودي ولكلفة شراء الأسلحة والذخيرة، وتقديم جوازات سفر أو مرور المبعوثية حتى يتمكنوا من قضاء مآربهم، ويستكملوا إستعلاماتهم، غير أن بايات تونس اختاروا طريق التحالف مع جيش الاحتلال الفرنسي، ووبخوا وكيلهم زاكي كرطوزو، أنبوه على فعله، وطلبوا منه أن يكف في الحال عن ...الاتصال بالأمير، لأن تونس، حسب تعبير الباي نفسه في رسالته، صديقة فرنسا وتعادي من

[1] - غلاب عبد الكريم، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي عصر الإمبراطورية العصر التركي في تونس والجزائر، ج3، الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2005، ص:72.

[2] - قنان جمال، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830م-1914م، منشورات وزارة المجاهدين، 2009، ص:129.125.

يعاديها[1]، كما توسط بعض حلفائه في شرق الجزائر وعلى رأسهم: آل بن عزوز، ومحمد الصغير بن عبد الرحمان بن أحمد بالحاج بينه وبينهم لخدمة القضية الجزائرية.

مصر: وكان هذا الاتصال بين الأمير وعلماء مصر عندما اشتد الخصام والعداء بينه وبين سلطان المغرب الأقصى عبد الرحمان بن هشام، وشرح لهم خيانة هذا السلطان، وعدد لهم من جرائمه الأمور الستة التالية:

1- إمداده لجيش الكفار النصارى عبوانات الذبح بعد أن حرم هو منها مدة ثلاث سنوات.

2- مصادرته 1500 بندقية إنجليزية اشتراها وكيل الأمير للمجاهدين الجزائريين.

3- مصادرته 400 بدلة من الجوخ اشتراها وكيل الأمير للمجاهدين كذلك.

4- مصادرته مال أحد الغاربة الذي أوقفه لمجاهدي الجزائر بدعوى أنه أولى به.

5- منعه بعض المغاربة من التجند في صفوف المجاهدين لمحاربة فرنسا.

6- اتفاقه مع فرنسا في معاهدة أوت 1844م، على اعتبار الأمير عبد القادر خارجا عن القانون، والعمل على قتله، أو اعتقاله وتسليمه لفرنسا، أو نفيه من بلاده[2].

فأجابه الشيخ "عليش" أنذاك بوجوب محاربة هذا السلطان، لأنه أصبح مارقا عن الدين[3].

وعندما نفي الأمير عبد القادر إلى المشرق، اتخذ الفيحاء مستقرا ومقاما، واصل نشاطه، واتصالاته، بالقادة والساسة، في أوروبا، إفريقيا، وآسيا، وقام بعدة رحلات إلى: باريس، لندن والأستانة، فالديار المقدسة، ودعي إلى المشاركة في حفل تدشين قناة السويس 1869.

[1] – الأصالة ، يحي بوعزيز، مواقف بايات تونس من الأمير عبد القادر وثورته، ، العدد23، الجزائر ، جانفي، فيفري 1975، ص ص:24.23.

[2] – الجزائري محمد بن الأمير عبد القادر، ج1، المرجع السابق، ص ص :313.306 .

[3] – يحي بوعزيز، مراسلات الأمير عبد القادر مع إسبانيا وحكامها العسكريين نمليلة، المرجع السابق، ص: 11.

وعلى إثر سقوط الإمبراطورية الفرنسية الثانية ونابليون الثالث وقيام ثورة المجلس البلدي بباريس، وإعلان نظام الجمهورية الفرنسية الثالثة يوم04 سبتمبر 1870م، استشار الأمير صديقه جون دوليسيس، وكيل وجق تونس في باريس، في تهنئة رجال العهد الجمهوري الجديد، و لم ينتظر الجواب، فبعث تهانيه إليهم[1].

المغرب.

لقد كانت الفترة الممتدة من نوفمبر 1839م إلى ديسمبر 1849م حاسمة في تاريخ مقاومة الأمير عبد القادر وكفاحه المسلح، بعد أن تم نقض معاهدة وادي تافنة عام1839م، ركز الفرنسيون كل قواتهم جندوها ضدهم، فإنتزعوا منه عاصمته معسكر، ومعظم مدن الناحية الغربية مثل تلمسان، سعيدة، تاكدمت وإضطر الأمير أن ينسحب إلى الجنوب بعاصمته المتنقلة التي تدعى الزمالة، وفي يوم 16 ماي 1849م، ضاعت منه زمالته هذه، في معركة عين طاقين، بجبال عمور في غيابه وكان ذلك ضربة قاضيه له ولقواته وأنصاره[2].

ولما بلغ انتصار خليفة الأمير إلى فالي، ومساندة الناس للأمير ضاقت به الأرض، عندها أدرك أن الأمير سيستأنف القتال، لذا فكر في خطة تحطم الأمير، فجمع ضباطه، وفكر أحد الضباط في أن يقترح على الأمير إرسال وفد إلى باريس، من أجل توطيد العلاقات والاتفاق، فوافقوا على ذلك، وبعث فالي إلى الأمير كتابا من أجل ذلك، ولما وصل الكتاب استحضر الأمير أعضاء مجلسه وقرأ على مسامعهم نص البيان، فمنهم من استحسن الفكرة ومنهم من ارتاب ومن منهم من شك بفالي وأوا أنه لا جدوى من إرسال الوفد إلى باريس إلا أنهم في الأخير إرسال الوفد إلى سلطان المغرب رفقة أخيه محمد السعيد مصحوبا بهدية وكتاب حول القضية عندما وصل الوفد استقبله

[1] –الأصالة، يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر ومشروع قناة قابس والبحر الإفريقي، العدد 25، ماي، جوان 1975، ص ص: 188.79.
1-P .azam.ibid. pp 161-169

الشعب بحفاوة وابتهج السلطان بمجيئ الوفد وقال بأنه سوف يكاتب الأمير حول القضية في رسالة منه[1].

في ساعة من ساعات المحن والقنوط، بدأ الأمير إيجاد بديل عن الجزائر يناصره في إجراءاته، فاتحة ببصره ناحية المغرب الأقصى، وظن أنه ملجأ مؤقت يتمركز فيه فترة معينة، ليعود ثانية إلى بلاده.[2]

ورغم شجاعة الأمير وجرأته في مواجهة جيش جرار بلغ 78 ألف جندي وضابط، فان بعض القبائل تخلت عنه المقاومة مرة أخرى، ليشعر بأن لا قبل له لمقاومة هذا الجيش، طلب المساعدة من المغرب و لم تبخل الدولة المغربية رغم ضعفها العسكري، و مشاكلها المالية، في مساعدة الجزائر [3].

وكان السلطان مولاي عبد الرحمن [4] ، يعرف وضع الأمير فقد كان على علم أن الجيش الفرنسي المعزز بجيش قوي، قد دفع الأمير نحو المغرب و هزمه عند الحدود .

ربطت الأمير بسلطان المغرب صلة طيبة و كانت الرسائل و المشاورات دائما بينهما، فقد كتب الأمير إلى السلطان : "إن نفسي تميل إلى الخلوة و العبادة وتنفر من ثقل ما تحمله من أعباء الإمارة، و الزمان كثر فيه العدو و فسدت فيه الأخلاق ."

[1] – مسعود مجاهد، المرجع السابق، ص، ص:294،292.

[2] – حرب أديب، المرجع السابق، ص:451.

[3]– غلاب عبد الكريم، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي عصر الإمبراطورية العهد العثماني في تونس و الجزائر، ج3، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2005،ص:71.

[4]- أبو زيد عبد الرحمن بن هاشم : بويع بالإمارة في 26 ربيع الأول 1230ه، ومات في 29 محرم 1267ه . أنظر، جلول المكي، مسألة الحدود بين الجزائر و المغرب 361إلى 1263ه/1234ه -1847 م. مذكرة ماجستير، إشراف :مولاي بالخميسي،جامعة الجزائر، معهد التاريخ، 1993م ص:127.

فرد السلطان :"كيف يصوغ لك التقصي و قد رفعت بك في ذلك القطر راية الاسلام، و انتظم أمر الخاص و العام، ولن تعدم من الله عونا و مددا و من صالح المؤمنين عدة و عددا".[1]

فقد أقيمت العلاقات بينهما على أساس من التعاون و المساعدة و التزويد بالأسلحة و الذخيرة الحربية، مما يساعد عللا القيام بأمر الجهاد و يبدو هذا واضحا في اتصالات التي كانت بين الأمير و السلطان عن طريق الوفود إلى المغرب، أو التراسل بتبادل الرأي الاستشارة في المسائل الكبيرة التي تخص سياسة السكان و القضايا ذات الصيغة السياسية و التشريعية .[2]

جاء طلب المساعدة من سلطان المغرب تحت إلحاح الحاجة الماسة و الشعور العميق بالواجب الديني، و قد استعمل أكثر العبارات إلحاحا و استعجالا، كما طلب منه أن يسخر كل ما لديه من أجل القصية المشتركة، و ينبهه للخطر المشترك بقوله :" إذا احتل الفرنسيون الجزائر كلها فأين يمكن أن يكون أمن المغرب ؟".[3]

كان المولى عبد الرحمن يؤيد الأمير بالأسلحة في الجهاد و ييسر وصول الإمدادات إليه و هذا ما أدى بالأمير إلى المغرب الأقصى .[4]

قام الأمير بمهاجمة القبائل الموجودة في الحدود المغربية الخارجة عن سلطة السلطان، و أرسل زعمائها مكبلين إلى وجدة، و أرسل رسالة شخصية إلى السلطان يعرض فيها خدمته عليه، غرد

[1] -الجزار أحمد كمال، المفاخر في معارف الأمير عبد القادر و السادة الأولياء الأكابر، مر:محمد زكي إبراهيم، المطبعة العمرانية للأوفست، ط1، 1997م.، ص: 28.

[2] - جلول مكي، المرجع السابق، ص:139.

[3] -تشرشل شارل هنري، المرجع السابق، ص:219.

[4] الجمل شوقي عطا لله، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس،الجزائر،المغرب) مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1977، ص:279.

عبد الرحمن شاكرا و متحفظا و عندما لم يجد الأمير أي تشجيع توجه إلى الصحراء، و مكث عدة شهور مع أتباعه و عمل على استرجاع مكانته و تثبيت نفيه .[1]

نزل الأمير بضواحي وجدة من أطراف الريف، [2] فرحب به ألها فلم يرتح العدو لوجوده في البلاد المغربية ورأى في ذلك خطر يهدد حضوره بالبلاد الجزائرية [3].

كان سلطان المغرب ببطل الجهاد في فترة انتصار على الأعداء، و كان جميع المغاربة يتشوقون إلى قيادته لهم في إطار التحالف بين المغرب و الجزائر ضد الكفار.[4]

عندما أدرك الأمير أن الفرنسيين يسعون إلى الاحتلال الشامل قرر إقامة وحدة مغربية، فرابطة الدم و العقيدة، و الأرض، والتاريخ المشترك، تدعوا إلى الاتصال بسلطان مراكش، ولما اتصل به لم يأبه لاستغاثته ورغم تحمس أهالي الريف بالمغرب الأقصى، حيث كتب ذو الشأن إلى الأمير طلب منه أن يأتي ويتولى الملك إلا أنه لم يقبل ذلك .[5]

وعندما بدأ النزاع بين فرنسا والمغرب، عاد الأمير إلى دائرته حيث راقب تطور الأحداث، واستدعاه السلطان إلى فاس، ووصل إلى عبد القادر خبر غضب السكان المغاربة إلى سلطانهم

وكانوا قد طالبوا عبد القادر بتولي عرش أجداده و لو كان الأمير طامعا لا ستولى على صولجان المغرب، لكن هدفه كان حرية و استقلال الجزائر، و قد سخر كل جهوده و طاقاته لأجل ذلك

[1]-تشرشل شارل هنري، المرجع نفسه، ص:221.

[2]- الريف : منطقة جبلية شمال المملكة المغربية، أنظر، بسايح بو علام، المرجع السابق، ص: 107.

[3]- بو عزيز يحيى، رائد الكفاح الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص:61.

[4]- تشرشل شارل هنري، المرجع نفسه، ص: 221.

[5] - محمد مراد بركات، المرجع السابق، ص:21.

ولا يوجد ما يجعله يحيد عن مجال عمله الشرعي، وكره أن يضع على رأسه تاجا مستعارا .[1]

و أراد سلطان المغرب مولاي عبد الرحمن الاستجابة للشعب الجزائري، فأعلن الحرب على فرنسا.

وأرسل جندا لإعانة الأمير، لكن الفرنسيين دحروا ذلك الجند في معركة واحدة "اسلي" 1844م، وضربوا بالقنابل بعض مدن الغرب .[2]

وكانت القوات المغربية ضعيفة وغير مؤهلة لحرب قوة عظمى، فقد احتل الفرنسيون وجدة ومنطقة بني يزناسن، انتقاما من المغرب وهذا ما اضطر السلطان للمواجهة على أرضه، لتحرير هذه المناطق و مساعدة الأمير في محنته و جهاده، فتعرض إلى التهديد من طرف الجيش الفرنسي، وتما اجتياح مناطق شاسعة من البلاد استضافة المغرب للأمير عبد القادر،[3] وبدأت المعركة صباحا وانتهت عند الزوال بهزيمة الجيش المغربي .[4]

جهز السلطان ابنه ولي عهده محمد في عشرين ألف من الجند، فأرسل الأمير عبد القادر يحذره من مقارعة الفرنسيين وحربهم و لم يقنعه ذلك اعتمادا على كثرة جيوشه، و استمر سائرا إلى واد اسلي بالقرب من وجدة فزحف العساكر الفرنسيون إلى معسكر ابن السلطان في محله من ايسلي، واشتبك الفريقان على النهر واشتعلت نيران الحرب، وفي النهار انكسر بن السلطان وجيوشه ومنحوا أكتافهم للعدو فعمل فيهم السيف أعماله، واستولى الفرنسيون على سائر المعسكر بما فيه وكان هذا أخر وقائعهم مع الفرنسيين[5].

[1] – تشرشل شارل هنري، المرجع السابق، ص:225.

[2] –المدني أحمد توفيق، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص: 87.

[3] –غلاب عبد الكريم، المرجع السابق، ص ص:40،41.

[4] –الجزائري محمد بن عبد القادر، ج1، المرجع السابق، ص: 448.

[5] – المرجع نفسه، ص:291.

وكان هذا اللقاء في 14 أغسطس ويعود هذا النصر إلى الأسلحة الحديثة والنظام والخطط المحكمة للفرنسيين ضد القوات المغربية المدافعة عن أرضها، وطمع بيجو أن يشن حربا كاملة ليبسط نفوذه على بقية بلدان المغرب الأقصى[1].

وقرر بيجو أن يحتل وجدة بسبب هجوم المغاربة عليه، وأرسل إنذارا إلى الجناوي قائد العسكر المغربي بوجدة، وإقترح عليه أن يسلموه الأمير الذي يعد سبب العداء بين فرنسا والجزائر[2].

وقبل كل هذا كان الأمير قد جعل من الحدود المغربية قاعدة لغزواته في الجزائر، وكان ينسحب إلى الأراضي المغاربية دون مضايقة لكن فرنسا لم يعجبها الأمر فوضعت فرقة عسكرية في مكان الأمير في الحدود المغربية، ولكن خط الحدود لم يكن واضح وعسكرت الفرقة تحت قيادة لموريسير في لالة مغنية[3].

وإتخذ الفرنسيون لجوء الأمير إلى المغرب كذريعة لتحقيق أطماعهم حيث إستولى بيجو على لالة مغنية، وأرسلت فرنسا قوة بحرية بقيادة جوانفيل بمياه طنجة للضغط على المغرب، وأرسل المولى عبد الرحمان قوة عسكرية إلى وجدة رغم مواصلة المفاوضات بين الطرفين وقد قصفت البحرية الفرنسية: طنجة ثم الصويرة[4].

[1] – تشرشل شارل هنري، المرجع السابق، ص:281.

[2] – المرجع نفسه، ص: 223.

[3] – لالة مغنية: تبعد 20كلم شمال شرقي وجدة، ولايصلها الا طريقين في السهل فقط، ويخترق هذا القسم من الجنوب إلى الشمال وادي أوردافو الذي يرفد ايسلي شرقا عند مرتفع جورف الأعمى، ويصب في وادي أوردافو مسيلان: الأول على نصف جنوبي لالة مغنية وهما بواردة والعوني، والثاني شرقي دار السلطان وهو سيدي زاهر أبو العباس، وهي إمرأة مرابطة بورعها وتقواها وما تزال بضريح أقيم لها رسميا في عين المكان، أنظر حرب أديب، المرجع السابق، ص:483، وتشرشل شارل هنري، المرجع السابق، ص222.

[4] – الجمل شوقي عطا الله، مرجع سابق، ص282.

وكان هذا شهر جوان سنة1844م حيث أرسلت الحكومة الفرنسية قطعة من الأسطول إلى الساحل المغربي بقيادة دي جوانفيل لتدعيم مطالبها الرسمية وبدأ بيجو العمليات الهجومية من البر، وقد إضطر إلى ضرب طنجة وموغادور بالقنابل[1].

وأراد قادة الجيش الفرنسي منع الأمير من الدخول إلى الجزائر فشددوا الحراسة على الحدود بمنخفض مغنية، وإستقرت وحدات من الجيش في سبدو ولالة مغنية[2].

رضخ سلطان المغرب لمطالب الفرنسيين ولم تطالب فرنسا بأي شيء سوى التخلص من الأمير عبد القادر، وقد نص البند الرابع من معاهدة السلام التي وقعت بين الطرفين على أن: الأمير عبد القادر يعتبر خارجا عن القانون في جميع أنحاء الدول المغربية والجزائرية، وعليه سيكون مطاردا من الطرفين(فرنسا والمغرب) إلى أن يطرد أو يقع في قبضة قوات إحدى الطرفين، فإذا وقع في يد فرنسا يعامله جلالة الملك بإحترام وكرم، وإذا وقع في يد المغاربة سيجبر على الإقامة بإحدى مدن الساحل المغربي[3].

وكانت معاهدة طنجة بين طرفي (فرنسا والمغرب) وفيها تعهد السلطان المغربي بعدم التقديم أي مساعدة للأمير عبد القادر بسجنه في إحدى الموانئ المغربية اذا ما وقع في أيدي السلطات المغربية

أما تحديد الحدود بين المغرب والجزائر فقد إتفق عليه في معاهدة أخرى وقعت في باريس عام 1845م[4] .

[1] – تشرشل شارل هنري، مرجع سابق، ص:224.

[2] – الجزائر محمد بن عبد القادر، ج1، المرجع السابق، ص: 445.

[3] – المرجع السابق،ص ص:223، 225.

[4] – الجمل شوقي عطا الله، المرجع السابق، ص: 281.

وبإتفاقية طنجة أصبح الأمير لا يستطيع أن ينتظر أي مساعدة من المغرب بحربه ضد الفرنسيين، الذين نجحو في تشويه صورته بإتهامه أنه إستغل شعبيته لبسط نفوذه على أجزاء من المغرب، وكل هذا أدى إلى تخلي المغرب نهائيا عن تقديم أي مساعدة إلى الأمير وأخذ منه موقفا عدائيا [1].

والسبب الآخر منع السلطان من مرور الأسلحة إلى الجزائر، هو تخوفه من ظهور قوة سياسية وعسكرية ناشئة مجاورة للمغرب، منافسة للسلطان في النسب الشريف، وخاصة أن الأمير كان مجاهد في سبيل الله، مدافعا عن حرمة الدين وحمايته، وله علاقات طيبة مع القبائل المغربية المحيطة بمدينتي: فاس ومكناس، القليلة الولاء للسلطان،والتي يمكنها أن تجعل الأمير على رأس الناقمين على السلطة، وتسبب لهم إضطرابات كبيرة عليهم[2].

أما عبد الرحمان، كجميع سادة المملكة يفضل إنقاذ ملكه قبل الجهاد من أجل الإسلام، وعاقب السلطان جميع القبائل التي تدعم الأمير إلى درجة أن بعضها ومنهم بنو عامر قد هلك القسم الأكبر في معاهدة طنجة[3].

أرسل الفرنسيون ليون روش[4] إلى الأمير، وأعلن إسلامه المزيف وفي هذه الأثناء كان يعمل جاسوسا ويمد قنصل فرنسا بالأسرار ثم هرب إلى الجيش الفرنسي ليعمل مترجما عسكريا في خدمة

[1] – الجمل شوقي عطا الله، المرجع السابق،ص:81.

[2] – جلول المكي، المرجع السابق، ص: 136.

[3] – تشرشل شارل هنري، المرجع السابق، ص ص:234،223.

[4] – ليون روش:ولد في غرونوبل بفرنسا في 24 سبتمبر 1809م من أبوين فرنسيين في نفس المدينة، في26 جوان 1901 بدأ دراسته في ثانوية غرونوبل وأتمها في تورنون، ونال منها شهادة البكالوريا، سنة 1928 دخل معهد الحقوق، وكان ميالا للمغامرة، وكان أبوه ملحقا بخدمات العتاد العسكري بالجزائر منذ الحملة في 1830، دخل روش جيش الأمير سنة 1837 وأصبح كاتبه وكان جاسوس فرنسا، إتجه إلى المغرب 1845، شغل منصب وزير مفوض تركزت مهمته على التبشير المسيحي، أنظر مناصرية يوسف، المرجع السابق، ص ص:13، 57.

فرنسا وكان الكاتب السري للأمير عبد القادر، ولهذا إستعملته الإدارة الفرنسية للقضاء على ثورة الأمير[1].

طلب روش من ابن إدريس أن يلتمس له مقابلة السلطان من أجل مواجهة فرنسا، وإستطاع هذا الأخير فعل ذلك وإستقبل روش في 21 نوفمبر 1845م، وعندما دخل على السلطان بادره بالقول: «أن الأمير يهدد عرش المغرب أكثر مما يهدد فرنسا نفسها فهي تقدر أن تمنعه من دخول الجزائر، وهي الآن تريد خدمة السلطان للقضاء العدو المشترك و يجب تدعيم المحبة والاخوة بين فرنسا والمغرب، وإن ذلك لايكون إلا إذا قدم السلطان أدلة قاطعة تعبر عن حسن إرادته لتقتنع فرنسا بأن رسائلها وصلت إلى مسامع السلطان، وأن كل شيء يسير بأمره»[2].

واصل روش تدخله بطنجة لدى السلطان فأوقف مساعداته للأمير، وأصدر ظهير لمنع المغاربة من إقامة علاقات مع الجزائريين واللإستيلاء على الأسلحة الموجهة إلى الأمير وأثر هذا على المقاومة الجزائرية تأثيرا سيئا، و خاب أمل الأمير في مساعدة السلطان له، وطلبت فرنسا تخطيط حدود بين الجزائر والمغرب، فأبى السلطان ذلك بدعوى أنها معروفة ولا تحتاج إلى تحديد[3].

وينص البند الخامس على أن تحديد الحدود ما بين أملاك فرنسا والمغرب تبقى ثابتة، حسب حالة الأمور المعترف بها من طرف الحكومة المغربية في عهد السيطرة التركية في الجزائر، وإن التطبيق الكامل والمنظم للحدود سيكون موضوع إتفاقية خاصة بعد المعاينات المباحثات على الميدان[4].

[1] – مناصرية يوسف المرجع السابق، ص:24.

[2] – المرجع السابق، ص ص:52،53.

[3] – جلول المكي، المرجع السابق، ص ص: 141،142.

[4] – مياسي إبراهيم، الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائري 1837-1934، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2005، ص:341.

ومن أجل تحديد الحدود بين الإيالتين، أبرمت يوم 18مارس 1845 بـــ لالة مغنية معاهدة بين الدولتين الفرنسية والمغربية، جاء فيها: تقييد ما إتفق عليه نائب سلطان مراكش وفاس وسوس الأقصى، ونائب السلطان الفرنسي وسائر مملكة الجزائر الجنرال" أريستيد يزيدور"، كونت" دولاروا " صاحب الإفتخار لدولة الفرنسيين ودولة إسبانيا، من ذكر مبدأ الحدود والأماكن التي تمر عليها الحدود من ملتقى وادي عجرود مع البحر في الشمال، إلى ثنية الساسي جنوبا بالصحراء، على مسافة حوالي مائة كلم[1].

وهذه الأخطاء في التخلي عن الحدود القديمة ترجع إلى أمور منها:

1-عدم معرفة المفاوضين الفرنسيين لواقع الحدود بين المغرب والجزائر.

2-عدم إطلاعهم على كتب التاريخ والجغرافيا العربية والإسبانية.

3-مغالطة المفاوضين المغاربة للمفاوضين الفرنسيين.

4-تسرع المسؤولين الفرنسيين لوضع حد لهجومات الأمير.

5-الضغط الإسباني والإنجليزي غلى المفاوضين الفرنسيين للإسراع بإنهاء مسألة الحدود.

وكانت السلطات الفرنسية يومئذ تضغط على أمور ثلاثة:

1-البحث عن الأمن بأي سبب.

2-عزل الأمير عبد القادر عن المغرب.

3-المصالح الشخصية لبعض الأشخاص وتخلي لاراي عن الحدود التاريخية الجزائرية لدوافع غير معروفة[2].

[1] – مياسي إبراهيم، مرجع سابق، ص:342.

[2] – سكفالي مفيدة، يوميات الشيخ العلامة الحفناوي بديار، تح ودراسة القسم الخاص الأمير عبد القادر، مذكرة ماجيستر، علاوة عمار، جامعة منتوري قسنطينة 1430، 1431هـ/ 2009، 2010م ، ص: 150.

أثمرت جهود السلطان عن نتائج كبيرة منها:

1-نقل الحدود من وجدة إلى وادي قيس شرقي وجدة.

2-إعتراف فرنسا بها رسميا.

3-ضم قبائل جزائرية إلى المغرب وهي: المحيا، وحميان، عمور الصحراء، أولاد سيد الشيخ لغرابة.

4-ضم قصور جزائرية: فكيك، إيش.

5-إعتراف فرنسا رسميا بما إستولى عليه ملوك المغرب من الجزائر أواخر العهد العثماني.

6-ترسيم الحدود بخريطة لترسيخها.

7-تصدي السلطان للمقاومة الجزائرية ولقائدها بكل الأساليب.

8-التعاون المغربي الفرنسي لدى الأمير[1].

وعاد الأمير إلى الوطن مع من بقي معه سنة 1845م، بعد أن يئس من مساعدة سلطان المغرب ولسان حاله ينشد بتحصر ومرارة قول الشاعر طرفة بن العيد:

وظلم ذوي القربة أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

وكان هذا أسوء ظروف المقاومة الشعبية عكس العدو الذي إزدادت قوته وعظمته وحاصرت الأمير الذي عاد مرة ثانية إلى المغرب[2] .

وإستطاع الأمير عبد القادر رغم الظروف الغير مواتية المحيطة به ورغم حصار الفرنسيين السواحل الجزائرية بحرا والحدود الشرقية والغربية برا، أن يحرز في عامي: 1845م 1846م عدة

[1] – سكفالي مفيدة المرجع السابق، ص:150.

[2] – بن السبع عبد الرزاق، المرجع السابق، ص:46.

انتصارات على الفرنسيين بمناطق متفرقة وأنهك قوات بيجو الذي نعى على حكومته عدم مساعدته، وعلى إطلاق يده حرة الجزائر والمغرب.

وقد ضيق الفرنسيون الخناق على بومعزة مما إضطره للتسليم له وإنقطعت عنه الأسلحة والأمدادات[1].

ظن الفرنسيون أنهم قضو على شكر الأمير، بعد إتفاقهم مع سلطان مراكش وإن الجزائر تحت سيطرتهم، فأصلحوا أمورهم وأصلحوا ما خربته الحرب، ولكنهم فوجئوا في خريف سنة 1847م بهجوم جديد من قبل الأمير الذي وجد العون من إحدى المناطق المراكشية، ونظم صفوفه من جديد، أدركو أن هذا الرجل لمع إسمه كقائد شديد المراس لن تلين قناعته بسهولة، وهنا أعادت فرنسا المرشال بيجو حاكما عاما على الجزائر الذي إستدعته عندما ظنت أن مقاومة الأمير إنتهت[2].

هاجم سلطان المغرب الأمير عبد القادر، هذا الأخير الذي إختلطت عليه الأوراق و لم يعرف العدو من الشقيق والصديق، وقد عبر عن ذلك الشيخ الحفناوي لكن بطرقته الخاصة، وقد كان هجوم سلطان المغرب عبد الرحمان بن هشام منعرجا حاسما في تاريخ الأمير عبد القادر النضالي، حيث كان الهجوم بخمسين ألف مقاتل في محرم 1263ه الموافق لـــ:1847م[3]

وحارب السلطان إخوته في الدين بجيش جرار أسند قيادته إلى إبنيه أحمد ومحمد، ووقعت معركة بين الجيشين الشقيقين يوم: 15ديسمبر 1847م على صفاف نهر وقتل للأمير أربعة أفراد[4] .

[1] – الجمل شوقي عطا الله، المرجع السابق، ص:281.

[2] – مسعود مجاهد، المرجع السابق، ص: 155.

[3] – بن السبع عبدالرزاق،المرجع السابق، ص: 46.

[4] – سكفالي مفيدة، المرجع السابق، ص:57.

وفي سنة 1847م إستقال بيجو وترك أمر الجزائر للدوق دومال نجل ملك فرنسا الحكومة الفرنسية تشعر أن مقاومة الأمير على وشك الإنتهاء، لأنه كان محاصرا مكن طرف القوات الفرنسية وصعب عليه الحصول على الأسلحة والإمدادات، إضافة إلى العداء بينه وبين المغرب ومطالبته بتسليم نفسه في فاس للقوات المغربية وهنا لم يجد الأمير مفرا من تسليم نفسه لإحدى القوتين المغربية أو الفرنسية[1].

ولما وصل روش إلى الرباط أقنع مولاي عبد الرحمن بأن عرشه مواجها خطر يسمى بالأمير عبد القادر، فأرسل قواته بالقضاء عليه في الأشهر الأخيرة في سنة 1847م وإخضاع القبائل المغربية، والعمل على مضايقة القبائل الجزائرية وإجبارها على الرجوع إلى الجزائر والدخول تحت سيطرة لموريسير، وتم ذلك بالفعل وإنتصر روش في مهمته الديبلوماسية بالمغرب، وقد ساعده ظروف المسلمين وضعفهم في تنفيذ آرائه المغامرة التي بدأها بتحرير شروط المعاهدة ومصادقة السلطان عليها، وأنهاها برشوة رجال دولة السلطان، وعين قنصلا في طنجة سنة 1846م، وشغل هذا المنصب في كل من: تونس، طرابلس، تريستا بالنمسا، اليابان، وفي سنة1870م أصبح وزير مفوض وتقاعد بعدها، وتركزت مهمته في البلدان العربية على التبشير المسيحي[2].

قال الأمير عبد القادر: "صدقوني لقد إنتهى الجهاد، فلنعترف بالواقع والله شهيد على أننا صارعنا بكل ماملكنا من قوى وقدرات...وهاهي القبائل وقد أنهكتها الحرب أما أنا فإنني أثق بمن قاتلوني في الميدان أكثر من ثقتي بالرجل الذي إنكشفت لي خيانته"[3].

[1] – الجمل شوقي عطا الله، المرجع السابق، ص: 282.

[2] – مناصرية يوسف، المرجع السابق، ص ص:56،57.

[3] – إتيين برونو، مرجع سابق، ص236.

لقد نفذ السلطان عبد الرحمن كل ما كلف به فبدلا من أن يعين الأمير بالأسلحة والأموال وحثه للشعب على مساعدته ومساندته أعانه بكيفية أخرى وهي: إرغامه على التسليم وقد صدق الأمير حيث قال في غدره وخيانته :

ولقد نصرت الدين لولا أنها غدرت بنا فاس من غير مراء.

قطعوا يد الإسلام بنواحيله باءوا بأقبح خزية شنعاء.

حسدوا على النصر المبين سفاهة إخوانهم فغدو مع الاعداء.

عشرا من السنوات قد قاربتهم مع ستة والنصر تحت لوائي.

ما للجبان وعيشة قد عاشه خل الجبان رهين ذاك الداء.

ولقد قتلت من الأعادي «مائتي » ألف كما شهدت بذا أعدائي[1].

أدرك بيجو أن إيجاد خلافات بين المغرب والجزائر سيؤدي إلى إضعافهما وألتهامهما القطر بعد الآخر، لكن الأمير تنبه لهذا الخطر الداهم فسد الباب في وجه بيجو وعرض عليه عروضا سخية ولما يئس بيجو من الأمير، إتجه إلى سلطان المغرب الذي إستولى عل مشاعره وأصبح لاحول له ولاقوة، يوجهه بيجو وكذلك يأمره وينهاه مما أدى إلى خضوع الجزائر بيد بيجو ومن معه، فقد إنتصروا بسبب تحالف سلطان المغرب معه وإرغام شعبه على التنكر للأمير بعدما كانوا سنده القوي[2].

[1] – مسعود مجاهد، المرجع السابق، ص ص:359،360.

[2] – مسعود مجاهد، المرجع نفسه، ص ص: 353،354 .

كانت المودة والأخوة بين الأمير وسلطان المغرب و كانا أخوين في الدين لولا تدخل شياطين الإنس بينهما، وجند الشيطان أعوانه، وغرس الفرقة بينهم، وإتهم الأمير بأنه يطمع في حكم المغرب والجزائر ويريد محاربة السلطان الذي إنطلت عليه هذه الشائعات[1].

خيم الهدوء النسبي على الحدود الجزائرية ولكنه كان الهدوء الذي يسبق العاصفة، فقد استاءت قبيلة بن يزناسن ضد الكفرة الفجرة الأجانب، وقامت قبيلة بني خالد المنحدرة من بني درار بعد غارات على القوات الفرنسية داخل التراب الجزائري وكثرت الهجومات مع مستهل السنة الجديدة 1852م، حيث أطلقت السلطات المغربية إشاعة مفادها: إن الحرب على الفرنسيين باتت وشيكة[2].

هذه الحدود التي اعتمدت في التقسيم الحالي، لا تعتمد على تضاريس طبيعية، كجبال أو هواة أو أنهار، أو وديان تمثل حواجز طبيعية تحدد بوضوح أملاك كل دولة، ولا تستند هذه الحدود إلى مسلمات تاريخية مثلما اعتمدت عليه في الزمن البعيد بين الجزائر والمغرب[3].

بقيت الأوضاع متوترة على الحدود ونشبت عدة معارك يوم 16ماي على ضفاف نهر كيس، بين فرنسا والمغرب (قبيلة بني يزناسن)، وفي إنتضار وصول لاقائد من أجل تسوية أوضاع الحدود، عرفت المنطقة بعض الهدوء غير أن القائد لم يأتي، وأعاد الفرنسيون تحرشاتهم ضد القبائل، وكان سبب المشاكل الرئيسي هو اعتداءات القوات الفرنسية المتكررة على القبائل وفي يوم 2جويلية عقدت معاهدة سلام وأعطي الأمان للجميع، ولكن سرعان ما تجددت أحداث الحدود

[1] – الجزار أحمد كمال، الرجع السابق، ص: 34.

[2] – مياسي إبراهيم، المرجع السابق، ص:342.

[3] – سكفالي مفيدة، المرجع السابق، ص ص:148،149.

الجزائرية- المغربية في صيف 1859م وقيل أن هذا تحريض من السلطان محمد بن عبد الرحمن من أجل تحرير الجزائر[1] .

وكانت فرنسا قد أرغمت الأمير أن يترك لها الجزائر مضغة صائغة سنة 1849م وقد رسمت الخطة بإتفاق مع دول جنوبي أوروبا اللاتنية وإيطاليا وإسبانيا، وفرنسا أن يقتسموا المغرب العربي وتدخل الجزائر وجزء كبير من المغرب وتونس الخضراء تحت النفوذ الفرنسي، وتدخل القطعة المغربية المقابلة لإسبانيا تحت النفوذ الإسباني، وتدخل ليبيا تحت النفوذ الإيطالي[2].

ففي بداية سنة 1864م عاش إقليم تلمسان وضع هادئ، ذلك أن سكان عمالة وجدة والمناطق الحدودية مازالوا يتذكرون أحداث سنة 1859م ونتائجها الوخيمة وعقابها الشديد لذا تجنبوا إثارة المشاكل وشهدت سنة 1863م صراعات بين القبائل، إضافة إلى ذلك ثورة أولاد سيدي الشيخ بالهضاب العليا سنة 1864م، وقد عرفت العلاقات المغربية- الفرنسية تحسنا بسبب زيارة الإمبراطور نابليون الثالث إلى الجزائر يوم 03ماي 1865م [3].

وفي سبتمبر1873م توج السلطان الجديد الحسن الأول على العرش المغربي، واستمرت الأوضاع في الحدود على حالتها طيلة سنة 1874م وتعقدت مسألة الضرائب، وأرسلت بعثة إلى وجدة بقيادة الجنرال عصمان لمقابلة السلطان وتمت بينهما عدة لقاءات، وأسفرت على عزم السلطان على فرض تعديل للحدود يراعي فيها حقوق ومصالح المغرب، وقد عين عامل جديد على وجدة يوم 30جوان1881م سي عبد المالك الذي زار الجنرال قائد الشعبة العسكرية بتلمسان وقد تركت هذه الزيارة انطباعا حسنا لدى الفرنسيين[4].

[1] - مياسي إبراهيم، المرجع السابق، ص ص: 344، 345.

[2] - مسعود مجاهد، المرجع السابق، ص:354.

[3] - مياسي إبراهيم، المرجع السابق، ص ص: 346،347.

[4] - المرجع نفسه ص ص: 351. 362.

ألح فيرو وزير فرنسا على السلطان المغربي بتعديل الحدود، بشرط استدعاء لجنة دولية للحدود و لم تستطع الإجراءات الحازمة من الدولتين فض النزاعات الحدودية، وتميزت الشهور الأولى من سنة 1894م بالهدوء النسبي على الحدود ولكن الوضع تعقد بوفاة السلطان الحسن الأول في 06جوان 1994م وتولى ابنه عبد العزيز العرش وعمره قد تجاوز السادسة عشر، وفتحت صفحة جديدة في تاريخ المغرب الأقصى كدولة تتداعى وتسير قدما في مترلق خطير، وهو فرض الحماية الفرنسية عليها[1].

لقد عمرت فرنسا في الجزائر 132 سنة، وذلك بسبب انهيار سلطان المغرب الذي فتحته ابتداء من عام 1901م وأتمت فتحه في الفترة مابين 1907-1912 وجاء هذا كنتيجة حتمية لتقلص الشخصية المغربية وانهيار ملوكها وانصياعهم لدسائس بيجو[2].

بقيت العلاقات الفرنسية – المغربية طيلة خريف سنة 1896م، حيث ازدادت الزيارات وتبادل الوفود بين الطرفين ولكن النزاعات كثرت وتفاقمت بين الطرفين، مما جعل فرنسا تحتج وتنذر السلطان من مغبة هذه المسألة، ففي 28مارس1901م سلم الوزير الفرنسي في طنجة تحذير للمخزن بسبب هجوماتهم على القوافل الفرنسية، وهكذا تصاعدت المشاكل بين فرنسا والمغرب الأقصى من جراء الحدود لذا بدأت السلطات الفرنسية تمهد السبل والأسباب لغزوه[3].

قال الأستاذ مارتان:إن الوزير الفرنسي مسيو رونيول هو الذي حمل وثيقة الحماية لعرضها على السلطان وخرج من طنجة في 16 مارس واستقبل من طرف الكولونيل سلفستر وسائر الضباط الإسبانيين وبعثوا معه حرسا شرفيا إلى وادي لكس.

[1] – مياسي ابراهيم، المرجع السابق، ص ص: 369، 370.

[2] – مسعود مجاهد، المرجع السابق ص 354.

[3] – مياسي ابراهيم، المرجع نفسه، ص ص: 372 376.

وفي يوم 21 ماي وصل الوزير إلى دار الزراري، وفي اليوم الرابع والعشرون التقى الجنرال موانيه قبيل فاس في الجهة الأمامية وكلن ثالثهما في الملاقاة الصدر الأعظم.

وفي اليوم السادس والعشرون من طرف السلطان المولى عبد الحفيظ، وتلا عليه رسالة الحكومة الفرنسية وكانت بمثابة تقديم للمعاهدة التي عرضت عليه[1].

وبذلك استحوذ الاستعمار الفرنسي على الجزائر والمغرب وعلى حدودهما معا، يتصرف فيهما كيفما يشاء ويعدل فيهما متى شاء، منها التعديلات الجديدة للحدود الجزائرية–المغربية عشية احتلال تندوف[2].

وبإسم السلطان تقدم المقري فأجاب الوزير الفرنسي ورحب به وهنأه وقال بأن السلطان سوف يسمع الاقتراحات، حدثه الوزير وبعدها تركه وجها لوجه مع الوثيقة المحمولة من باريس، وهنا قدم مارتين ملخصا جاء غيه: وأمام هذه الوثيقة فهم السلطان ما كان ينتظره من عناء، وما ينتظر الإسلام من مذلة وهوان، وهذا هو المولى عبد الحفيظ الذي استطاع بفضل الله أن يتقلد مهام الخلافة العظمى، لقد اختير المولى عبد الحفيظ ليكون كنموذج للمولى إسماعيل، وهكذا نرى أن السلطان سلطان الإصلاح يتحول من شخص مجامل إلى شخص يصارع وزراءه وسائر أفراد حاشيته[3].

وقعت معاهدة الحماية في 30 مارس وحملت منذ هذا اليوم الطابع السلطاني الشريف وعندما قبلت هذه المعاهدة لم تعرف إلى أين ستصل نتائجها. فقد تزايد الهيجان منذ يوم 18 مارس في فاس وقتل ضابط فرنسي من قبل جندي مغربي أثناء التمرين...و لم يكن موقف العلماء

[1] – التازي عبد الهادي،الحماية الفرنسية بدءها–نهايتها حسب إفادات معاصرة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء ،1980م،ص08.

[2] – مياسي إبراهيم، المرجع السابق، ص 381.

[3] – التازي عبد الهادي، المرجع السابق، ص ص: 08،09.

والشرفاء يبعث على التفاؤل فقد كانوا ينشرون الدعايات المغرضة بين رجال الجيش قصد إثارة الناس ضد التدخل الأجنبي وقد أشعروا الناس أن السلطان مخنوق الأنفاس.

وكانت جريدة الصباح الوحيدة التي استطاعت أن تعلن التوقيع على معاهدة الحماية لأربع وعشرين ساعة خبر التوقيع على معاهدة الحماية قبل جميع الجرائد[1].

[1] – التازي عبد الهادي، المرجع السابق، ص ص: 13،11.

المبحث الثالث:

نهاية المقاومة:

إستسلام الأمير:

ألهم الله تعإلى الأمير صواب الرأي، فضرب كل هذه الدسائس بضربة واحدة وهي تخليه عن الإمارة،[1] لأنه وجد نفسه مضطرا في عام 1847م، ليقبل بالشروط التي فرضها عليه القائد الفرنسي لاموريسيار [2]،بعد أن وقع بين نارين وصار يطارد من طرف الجيش الفرنسي والجيش المغربي على السواء[3]، ولأن أوضاعه بدأت تسوأ فاستحال عليه متابعة جهاده لقلة عدد رجاله، واشتراك القوات الفرنسية والمغربية لملاحقته وتعقب دائرته[4].

هكذا بدأت الأمور تسير من السيئْ إلى الأسوأ، فالحدود الجزائرية المغربية أصبحت مقطوعة في وجه الأمير، أما الفرنسيون فقد تمركزوا في الممر الوحيد والإجباري "جربوس" فأصبح الوضع أكثر دقة وصعوبة، والإقدام على مواجهة الفرنسيين أو التوغل في الجبال أمرا خطيرا، فاختار الأمير الاستسلام.[5]

كتب إلى الجنرال "لاموريسيار" يخبره بأنه سيسلم نفسه بشروط، فاهتز بذلك الجنرال سرورا، وبعث بسيفه إلى الأمير مع ورقة ختمها بختمه على بياض ليشترط الأمير ما يريد، وكتب

[1]- الجزار أحمد كمال، المرجع السابق، ص:35.-

[2]-بوحوش عمار، المرجع السابق، ص:115.

[3]-الأشرف مصطفى، المرجع السابق، ص:126.

[4]-حرب أديب، المرجع السابق، ص:570..

[5]- المرجع نفسه، ص ص:572،573.

إلى ملكه ليخبره عبد القادر قرر أن يرحل عن الجزائر ليستقر بعكا أو بالإسكندرية، ووافق الملك على ذلك.[1]

شروط الاستسلام التي وافق عليها المسؤول الفرنسي من غير تردد تتلخص في ما يلي [2]:

- أن ينتقل الأمير وأسرته إلى عكا في الشام أو الإسكندرية في مصر .

- أن لا يمنع أحد من مرافقته ممن أراد من جنود وضباط.

- أن يكون كل من يبقى في البلاد أمنا على حياته وماله.[3]

وهكذا انتقل بن محي الدين صباح 23 كانون الأول إلى مرابط سيدي إبراهيم، فاستقبله أولا العقيد "مون تبان" ثم العميد "كافينياك"، والجنرال "لاموريسيار" عند الساعة السادسة من ذات النهار كان الأمير في جامع الغزوات يسلم فرسه للدوق "دومال"[4]، والسيف الذي كان يدافع به وهذا الإجراء يعتبر شرفا لفرنسا[5].

في 25 كانون الأول أخذ عبد القادر يستعد للانتقال إلى فرنسا على متن الباخرة لاسمودا "L'Asmodée"[6]، لكن فرنسا لم تحترم هذا العهد الذي قطعته للأمير[7]، وعند وصول الباخرة إلى مرسى طولون جاء حاكمها وأخبر الأمير بأنه سينزل هنا، فتألم الأمير وعد ذلك إهانة له ولمن معه من الحاشية، وقال لحاكم البلاد :"يا للعجب في الوقت الذي كنت أنتظر فيه بفارغ الصبر

[1]-مسعود مجاهد، المرجع السابق،ص ص:361،362.

[2]-حرب أديب، المرجع السابق، ص:573.

[3]ـــ عمورة عمار، المرجع السابق، ص:139.

[4]- حرب أديب، المرجع نفسه، ص:573.

[5]- مسعود مجاهد، المرجع نفسه، ص:362.

[6]- .حرب أديب، المرجع نفسه، ص:575.

[7]- بوحوش عمار، المرجع السابق، ص:115.

إقلاع البارجة من طولون إلى الشرق حسب الاتفاقية بيني وبين حاكم الجزائر، أنزل هنا بالرغم مني".[1]

وأخبر الحاكم أن الإقامة هنا لأجل المخابرة مع الدولة العثمانية وصاحب مصر في شأنه، ثم جاءه الكولونيل "دوماس" وأخبره أن فرنسا كلها عارضت ما تم التعهد به لبعثه إلى المشرق، وأن الملك يعتذر لعدم الوفاء، وعرض عليه الإقامة حيث شاء في أرض فرنسا، فأجاب الأمير:"أني لا أقبل هذا ولو فرشت لي سهول فرنسا ومسالكها بالديباج، وها أنا بين أيديكم ما بدا لكم، ولا يمكن أن أترك طلب الوفاء بالعهد مادمت حيا، ومن عجيب ما يسمع أنني كنت أرى نفسي ضيفكم فجعلتموني أسيركم".[2]

واضطر الأمير أن يبقى في فرنسا حتى عام 1852م، واتصل خلال هذه الفترة بالعلماء وعكف على المطالعة والدرس وقد عينت الحكومة الفرنسية للأمير كولونيل "دوماس"مرافقا له، وكان هذا وكيل فرنسا لدى الأمير .[3]

رفعت قضيته إلى مجلس الأمة للبحث فيها، فحصل خلاف في المجلس، قال البعض أن الأمير قد خرج عن الطرق المرعية بين المتحاربين بقتله الأسرى صبرا، فلا عهد له عندنا، وأعرض أهل المجلس عنه[4]، ثم نقلوه إلى سارية "أمبواز" التابعة لمقاطعة أورليان وبقي فيها أربع سنوات إلا بعد أن أفرج عنه [5] .

[1] مسعود مجاهد، المرجع السابق، ص:362.

[2] -الجزائري محمد بن عبد القادر، ج2، المرجع السابق،ص:06،

[3] -مسعود مجاهد، المرجع نفسه، ص:363.

[4] - الجزائري محمد بن عبد القادر، ج2، المرجع نفسه، ص:07.

[5] مسعود مجاهد، المرجع نفسه، ص:368.

كان الكثير من أصحاب المناصب السياسية وقواد الحرب يسابقون بعضهم بعضا لاظهار الاحترام والإعظام لذلك الأمير الهمام، وكان يسرف ساعات كثيرة في مقابلة أولئك القاصدين الذين كان يدهشهم تظاهره بالبشر والإفراج[1].

في سنة 1848م نشبت ثورة في باريس أطاحت بنظام الملك "لوي فيليب"، وتم على إثرها انتخاب "لوي نابليون" رئيسا للجمهورية في 10 كانون الأول 1884م، وبعد فترة من الزمن أصبح الزعيم الجديد يعارض بشدة الأحزاب التي توافق في خريف 1852م، على اقتراحاته بالعودة إلى الإمبراطورية لذلك قرر زيارة المقاطعة للحصول على تأييد الناخبين وعندما وصل إلى مدينة "بلوا" في تشرين الأول 1852م، كتب إلى النقيب "بواسونة " المسؤول عن قصر أمبواز، مبديا رغبته بزيارة الأمير ومناقشته بصدد وعد بعض الضباط له في الجزائر قبل سجنه في حصن "لا ملك"[2]، وكانت هذه الزيارة محل مناورة من الضباط والوزراء الذين كانوا من حوله، ونصحوه بالحذر لكنه صمم على هذه الزيارة لإنقاذ الشرف القوي، الذي طال تلطيخه بإخلاف الوعد وقد سيطرت على عقله فوق جميع الاعتبارات الأخرى.[3]

وبتاريخ 16تشرين الأول من نفس السنة حضر رئيس الجمهورية إلى قصر "أمبواز" وقابل عبد القادر، وتم إثر ذلك إطلاق سراحه واختيار الجهة التي يرغب التوجه إليها والإقامة فيها .[4]

[1]- الجزائري محمد بن عبد القادر، المرجع السابق، ص:13،

[2]- حرب أديب، المرجع السابق، ص:575.

[3]- تشرشل شارل هنري، المرجع السابق، ص ص :265،266.

[4]- حرب أديب، المرجع نفسه، ص:575.

بفضله تمكن الأمير أن يخرج من الجن الرهيب الذي زج فيه، وقد ناول الأمير ورقة تصريحه إلى تعلن بوفاء عهد فرنسا له، فأخذها الأمير مستبشرا بما سمعه منه، ثم قال نابليون للأمير أنه ينتظره بعد عشرة أيام في باريس لحضور الاحتفال المقرر إجراؤه وان حضوره باعث للافتخار .[1]

في 28أكتوبر 1852م نظم له "نابليون" استقبال جدير به، وكانت جماهير شعبية في انتظاره، تزاحمت في الشوارع وكانت تتفرسه بمشاعر مختلفة من الفخر والفضول، وفي نفس المساء الذي وصل فيه عبد القادر دعي لزيارة الأبرا الكبيرة، [2]و بعد ثلاثة أيام زار "لوي نابليون" في قصر "سان كلود"، كما شهد عدة استعراضات في "فارساي" وحضر تتويج ليو نابليون إمبراطورا باسم نابليون الثالث في 2كانون الأول 1852م.[3]

غادر عبد القادر في 11 ديسمبر مع عائلته وأتباعه "أمبواز" إلى المشرق، وكان نفس الاهتمام والكرم الذي وجده في باريس ينتظره في جميع مدن الأقاليم التي مر بها، في 21 ديسمبر صعد الأمير عبد القادر ظهر السفينة "لابرادور" التي أخذته إلى المشرق،[4] وعندما وصل إلى جزيرة"صقلية" نزل "بسيسليه" فتلقاه حاكمها وأجل مقامه، ثم أكمل مسيرته رهن إرادته.[5]

هنا بدأ ينتقل بحرية تامة، فزار إسطنبول من 7 كانون الثاني 1853م إلى 12 كانون الثاني 1853م ثم مكث في "بروس" ثلاث سنوات من 12 كانون الثاني 1853م إلى 24 تشرين الأول 1856م ومن بعدها أقام في "بيروت" فترة وجيزة، ثم انتقل إلى "الشام"فعاش فيها من سنة

[1]-مسعود مجاهد، المرجع السابق، ص ص:118،119.
[2]-تشرشل شارل هنري، المرجع السابق، ص:267.
[3]-حرب أديب، المرجع السابق، ص ص :575،576.
[4]تشرشل شارل هنري، المرجع نفسه، ص:271.
[5]-مسعود مجاهد، المرجع نفسه، ص: 424.

1856م إلى 1883م [1]، وتمكن سنة 1860م من إخماد فتنة طائفية كبيرة ضد المسيحيين العرب أكسبته شهرة عالمية، وقد قضى بقية حياته في الكتابة والتصوف[2].

على اثر هذه الأحداث في "جبل لبنان " و"الشام"، حصل الأمير على موافقة الإمبراطور الجديد بالتنقل في أي بلد كان، فزار سنة 1864م مكة والإسكندرية، كما إشترك خلال تشرين الأول 1869م في مهرجان تدشين قناة السويس[3].

عرض عليه الإمبراطور نابليون الثالث ليتولى منصب نائب مالك "المملكة العربية " بالجزائر إلا انه رفض .

ألقى الأمير خطابا على المجلس الشورى شارحا فيه أسباب توقيفه الحرب:"...ياقوم...إن الأحوال كما ترون ...ولقد أجهدت نفسي ...وبذلت وسعي في راحة بني وطني، واقتحمت المهالك، وغصن شبابي رطيب، وأقمت على ذلك ما يزيد على سبعة عشر سنة إلى أن فقدت المعاضد والمساعد ..." [4] .

في أوائل أيار سنة 1883م، شعر عبد القادر بوجع في المثانة، ما لبث أن اشتد عليه المرض حتى وافاه الأجل [5]،على الساعة السابعة من ليلة يوم السبت التاسع من رجب سنة ثلاثمائة ألف والرابع والعشرون من أيار سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة، وياله من مصاب اصطكت له الأسماع وارتجت به الأضلاع، وفي الحال شاع خبره[6]، وقد توفي بقصره ب"محلة دمر" عن عمر ناهز

[1]-حرب أديب، المرجع السابق، ص:576.
[2]-عمورة عمار، المرجع السابق، ص:139.
[3]-حرب أديب المرجع نفسه، ص:576.
[4]-عمورة عمار، المرجع نفسه، ص:139.
[5]-حرب أديب، المرجع نفسه، ص:576.
[6]-الجزائري محمد بن عبد القادر، المرجع السابق، ص:247.

ستة وسبعين عاما[1]، ونقل إلى بيته في "دمشق"، وصلى عليه أصحابه وجمع كثير من أهل الشام في جامع "بني أمية"، ودفن في "الصالحية" في ضريح الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي، وسار في جنازته قناصل الدول جميعا، ويذكر أن الذين ساروا في جنازته كانوا ثلاثين ألف شخص، وتلقى إبنه محمد برقيات عزاء من جميع الرؤساء وملوك دول العالم [2] .

سنة 1962م نالت الجزائر استقلالها وحفظت ذكرى أميرها، فنقلت حكومتها رفاته إلى مقبرة الشهداء بالعاصمة سنة 5 جويلية 1966م، ونقش على قبره "لو جمعت فرنسا سائر أموالها، ثم خيرتني بين أخذها وأكون عبدا، وبين أن أكون حرا فقيرا، لاخترت أن أكون حرا فقيرا"[3].

[1]-حرب أديب، المرجع السابق، ص:576.

[2]-الجزار أحمد كمال، المرجع السابق، ص:43.

[3]-حرب أديب، المرجع نفسه، ص:577.

مؤلفات الأمير :

1-كتاب المواقف : أهم كتاب ألفه الأمير ويقع في ثلاثة أجزاء، ضمنه 366 موقفا، والموقف 327 والأخير بدأه الأمير ثم انتقل إلى ربه، فأكمل أحد أصحابه وهو الشيخ محمد الخاني، [1]وفيه مباحث صوفية وتفسير آيات القرءان الكريم، وشرح الأحاديث النبوية، وبسط للعقيدة الإسلامية بأسلوب صوفي رفيع فيه أحاديث الأمير، ودروسه ومواعظه التي كان يلقيها على الطلاب والعلماء[2].

2-كتاب ذكرى العاقل وتنبيه الغافل: اختير الأمير عضو مراسلا بمجمع خالدين في باريس، وهذا الكتاب عبارة عن رسالة إلى هذا المجمع العلمي الفرنسي، يتضمن مقدمة وثلاث أبواب وخاتمة[3]، ويضم مختلف العلوم التاريخ، والفلسفة، والدي[4]ن، والإصلاح الاجتماعي والأخلاقي، وهي رسالة في الحكمة والشريعة،و تحث على النظر والتأمل، وفضل العلم، والعلماء، وفضل التأليف والكتابة، واحتياج الناس إلى تصنيف الكتب.

3-ديوان من الشعر:له أكثر من عنوان (نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر) من جمع ابنه محمد صاحب التحفة، و(ديوان الأمير عبد القادر) تحقيق ممدوح حقي الديوان ويشتمل الديوان على قصائد الغزل والفخر، والشجاعة، والتصوف، ومراسلات شعرية طريفة بين الأمير وأصحابه؟.[5]

[1]- الجزار أحمد كمال، المرجع السابق، ص:40.

[2]- مراد بركات محمد، المرجع السابق، ص ص :51،52.

[3]-ا لجزار أحمد كمال، المرجع نفسه، ص:41.

[4]- مراد بركات محمد، المرجع نفسه، ص:50.

[5]- الجزار أحمد كمال، المرجع السابق، ص:41.

4-كتاب المقراض الحاد لقطع لسان الطاغي في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد:

رد بها على الطاعنين في الدين الإسلامي وأهل النفاق، ويبرهن على مدى صحة وصدق الكتب السماوية،[1] ألفه الأمير في "أمبواز" بفرنسا، يوضح أن الإسلام جامع لكل ما تفرق في الشرائع الإلهية السابقة.[2]

[1]-مراد بركات محمد، المرجع السابق، ص:49.

[2]-الجزار أحمد كمال، المرجع نفسه، ص:41.

المبحث الرابع:

آثار نهاية المقاومة على بلدان المغرب العربي:

عند نهاية مقاومة الأمير عبد القادر انعكست آثارها سلبا على بلدان المغرب العربي، فالجزائر لم تسلم هي الأخرى إضافة إلى تونس والمغرب اللتان تم فرض الحماية الفرنسية عليهما، وكان هدفها تعهد الدول المستعمرة بحماية مستعمراتها الحفاظ على استقلالها تحت سيادة حكامها، ولكنها جاءت بعكس ما نصت عليه معاهداتها واتفاقياتها.

ففي الجزائر لم تكن نهاية الأمير نهاية سعيدة لفرنسا، وللمستوطنين فعندما حلت السبعينات من القرن التاسع عشر شهدت فرنس نكبات عسكرية ووطنية، فقد انهزمت أمام ألمانيا وسلبت منها إقليمي: الألزاس واللورين أسر إمبراطورها نابليون الثالث، وفقدت فرنسا مكانتها الدولية وأصبحت السلطة في يد المستوطنين.

لقد أبرزت المقاومة الشعبية تمسك الشعب الجزائري بأرضه ووطنه، وعدم مبالاته بالاحتلال وإغراءاته المخادعة لأنها كانت منبعثة من روح وطنية، انطلقت من الأرض في نطاقها المحلي ثم توسعت لتشمل كامل البلاد على الصعيد الوطني.

قامت بالجزائر ثورات عديدة نذكر منها: ثورة أولاد سيدي الشيخ، ثورة ابن التومي انتفاضة المليلية، ثورة المقراني والشيخ الحداد، انتفاضة الشمال القسنطيني، ثورة واحو العمري، انتفاضة لأوراس، ثورة الشيخ بوعمامة، ثورة الزعاطشة التي كانت أطول المقاومات الشعبية، ثورة بلاد زواوة بين: 1855م/ 1857م بقيدة للالة فاطمة نسومر.

وقد حكم على هذه الثورات بالفشل بين سنتي: 1855م/1871م، حكم على معظم قادتها بالإعدام أو السجن المؤبد وكانت ثورة الشيخ بوعمامة من أشد أعنف ثورة بعد ثورة الأمير

عبد، واستمرت ثلاثة وعشرون سنة ولكنها فشلت رغم قوتها البشرية، فقد وجهت هذه الثورات ضربات طاحنة وخسائر فادحة بجيش الاحتلال، ويعود سبب فشل هذه الثورات إلى: انعدام التنسيق بين المجاهدين، وتواطأ بعض القبائل مع الاستعمار وتفوق الجيش الفرنسي في العدة والعتاد والتقنية العسكرية.

كما سعت فرنسا إلى القضاء على مقومات الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية، بهدف فصلها عن جسم العروبة والإسلام، وإدماجها في كيانها الثقافي والحضاري والديني واللغوي، ووضعت في سياستها الاستعمارية أساسية منها: سياسة الفرنسة والقضاء على اللغة العربية.

ساءت أحوال الشعب الجزائري من جراء النهب، وإرهاقه بالضرائب الكثيرة والغرامات المالية، وسلبت أراضيه الصالحة للزراعة وطردته إلى المناطق القاحلة، وعاشت الجزائر مجاعة دائمة بعد ما كانت من أكبر الدول إنتاجا للحبوب، وزاد الاستعمار طغيانا وفسادا فإضطهد الشعب الجزائري وفككت وحدته الاجتماعية والاقتصادية.

التي قضت على استقلالها وسيادتها، وتدهورت بها الأوضاع بسبب: سلب وشهدت تونس نفس وضع الجزائر، حيث فرضت عليها في 12 ماي1881

السيادة منه ووضعتها في يد المقيم الفرنسي، كما فتحت أبواب الهجرة من طرف الأروبيين في تونس واستحواذهم على قطاع التجارة، وحصرهم التعليم الجامعي في أبنائهم، استأثروا عزل أغلبية المواطنين بوضعهم في ظروف اجتماعية واقتصادية، وصحية وثقافية سيئة نتيجة استيلائهم على أخصب الأراضي.

وتدهورت أوضاع البلاد تدهورا أوضاع إلى درجة الأزمة السياسية، للتسرب التجاري والمالي، كما تم تعطيل جل محاولات الإصلاح والتقدم.

إضافة إلى وجود شركات رأسمالية فرنسية، استغلت جميع الثروات الباطنية.

كما أهملت المؤسسات التعليمية التقليدية، وأبقيت الكتاتيب على حالتها القديمة وتمت معارضة إصلاح التعليم الزيتوني.

كما استهدفت الذاتية التونسية بتلقين التلاميذ أسس الحضارة الفرنسية المتعالية، توظيف المعمرين الأوربيين.

وفرضت معاهدة الحماية بمعاهدة باردو سنة 1881م حيث قام الاستعمار الفرنسي باستغلال الاقتصاد التونسي من خلال: الاستيلاء على الأراضي.

واحتكار المبادلات التجارية.

ودعم الجالية الفرنسية المقيمة في تونس.

وتمثلت ردود الفعل التونسية في ثورات القبائل، وتواصلت المقاومة بعد معاهدة باردو في جميع البلاد وراح ضحيتها الكثير من التونسيين.

وتم إصدار بعض الصحف لتوعية الشعب التونسي، وتأسيس حزب تونس الفتاة الذي طالب بالاستقلال وتم حضره من طرف الاستعمار.

ويعتبر نظام الحماية نظام استعماري قائم على ازدواجية الإدارة بين إدارة استعمارية ذات سلطة وإدارة وطنية ذات سلطة شكلية.

لقد مارست فرنسا على الشعب التونسي سياسة ظالمة، وقمعت الانتفاضات الشعبية بكل عنف وقسوة.

أما المغرب فكل ما انطبق على الجزائر والمغرب انطبق عليه هو الأخر، فقد فرضت عليه كل من فرنسا واسبانيا وفرضت عليه حماية ووصاية دولية على جزء منه، واستغلته اقتصاديا وأثرت فيه اجتماعيا وثقافيا.

وضعت سلطات الحماية التجهيزات الضرورية لتسهيل تنقل جنودها وذلك لاستغلال ثروات البلاد وتصديرها إلى الخارج حيث أقيمت الطرق وبنيت السدود الموانئ.

كما قسمت فرنسا المغرب إلى ثلاث مجالات استعمارية: منطقة النفوذ الفرنسي بالوسط، منطقة طنجة الدولية، منطقة النفوذ الإسباني في الشمال وفي الجنوب الصحراء المغربية.

أنشأت فرنسا بالمغرب فروع شركات مالية وبنوك أجنبية، كما عملت على انتزاع ملكية الأراضي الفلاحية وإقامة استيطان فلاحي رسمي وخاص، ووسعت الزراعات العصرية كما أعطت أهمية للمنتوجات التسويقية.

إضافة إلى احتكار الشركات الأجنبية واستخراج واستغلال المناجم لتموين الصناعات الأوروبية فقد عانى الميزان التجاري المغربي من عجز دائم بسبب تفوق الواردات على الصادرات، وتحولت البلاد إلى سوق ترويجية للبضائع الفرنسية، وأصبح المغرب تابعا لفرنسا.

لقد أثر استغلال الاستعمار للاقتصاد المغربي على الصناعات التقليدية التي أصبحت تعاني من المنافسة الأوربية وأفلس العديد من الحرفيين، وتدهورت أوضاع الفلاحين الذين فقدوا أراضيهم، وعانوا من ثقل الضرائب، وانتشرت الفوارق الطبقية، وازدادت الهجرة.

أدى الاستعمار الفرنسي إلى في كل من الجانب: الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

لقد خاض المغاربة عدة معارك تعبيرا منهم عن رفض الاستعمار ومن بين المعارك التي خاضوها: معركة فاس في 20 أفريل 1912 مباشرة بعد عقد الحماية.

إضافة إلى معركة القوس 31 جويلية إلى 03أوت 1920م، كما محمد بن عبد الكريم الخطابي المقاومة المسلحة وانتصر في معركة أنوال يوم 21جويلية بالشمال الغربي، وبعدها استسلم هذا الأخير بسبب تحالف فرنسا واسبانيا حيث استعملتا الغازات الكيماوية في تحالفهما.

خضعت بلدان المغرب العربي لنفس الاستعمار الذي لم يفرق بين الأخضر واليابس في سياسته الاستعمارية العنيفة، وجرائمه البشعة ضد الإنسانية بشتى الطرق والأساليب وربما لو ساندت دول المغرب العربي بعضها في التصدي الاستعمار لما سهلت له السيطرة عليها ولو قدر لمقاومة الأمير عبد القادر النجاح والاستمرار بمساعدة سلطان المغرب له ودعم بلدان المغرب العربي له، لما عمرت فرنسا في: الجزائر، تونس، المغرب لمدة طويلة.

خاتمة

يعتبر الأمير عبد القادر من كبار رجال الدولة الجزائرية في التاريخ المعاصر، فهو مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة ورائد مقاومتها ضد الاستعمار الفرنسي ما بين 1832م و1847م، كما يعد أيضا من كبار رجال التصوف والشعر وعلماء الدين، وفوق كل ذلك داعية سلام بين مختلف الأجناس والديانات وهو ما فتح له باب صداقات وإعجاب كبار السياسيين في العالم.

وشهد عدة مراحل في حياتة فمرحلة نشأته قضاها في طلب العلم وحفظ القرآن وتتلمذ على يد العديد من الشيوخ بدأ بوالده ثم تزوج سنة1823م وتوجه رفقة والده إلى الحج تلقى العديد من العلوم وبعدها عاد إلى الجزائر.

وتمثلت المرحلة الحاسمة من حياته في الجهاد الذي يعد أهمها ففيها استطاع بناء الدولة الحديثة وأظهر حنكة وشجاعة في الدفاع عن وهران سنة 1831م، حينها اقترح أهل البلاد على محي الدين قيادتهم لكنه رفض لكبر سنه ورشح ولده عبد القادر الذي بويع بيعته الأولى في 27 نوفمبر 1832م، وتلتها البيعة الثانية في 4 فبراير1832م، بإجماع أهل غريس.

قسم الأمير التراب الوطني إلى ثمانية وحدات: (مليانة، معسكر، تلمسان، الأغواط، المدية، برج بوعريريج، برج حمزة (البويرة)، بسكرة، سطيف).

وشكل وزارته من خمس وزارات وجعل معسكر مقرا لها واختار أفضل الرجال ممن تميزوا بالكفاءة والمهارة إضافة إلى أخلاقهم العالية، كما اختار رموز العلم ورموز الدولة(نصر من الله وفتح قريب).

كما أنشأ جيشا منظما يخضع لمعايير وقوانين ثابتة، ارتقى إلى جيوش الدول المتطورة تحت إشراف قادة أجانب متخصصين ملمين بجميع الأنظمة والقوانين المتطورة، كما أنشأ المصانع للأسلحة وبنى الحصون والقلاع مثل: تاقدمت، معسكر، سعيدة.كما أبرم الأمير مع الفرنسين معاهدتي دي ميشيل وتافنة وتمكن من خلالهما:من السيطرة على القسم الغربي من البلاد، واعترفوا

به نتيجة ما شاهده من قوته وشجاعته، إضافة إلى تمكنه من إرساء معالم الدولة الجزائرية الحديثة يعتبر مؤسسه الفعلي رغما عن الفرنسيين.

فقد كان الفرنسيون يخشون مواجهة الأمير في الميدان في معظم المعارك التي خاضها ضدهم، لأنه ألحق بهم خسائر فادحة نتيجة تحديهم له في الميدان الذي يعتبر المكان المحبب إلى قلبه فيقضي فيه على شوكة أعداءه.

كما أحكم الأمير ربط علاقات دولته مع مختلف دول العالم العربية والأجنبية منها، وهذه الأخيرة أعطاها امتيازات وصلاحيات مقابل تقديم المساعدة له، لكنها لم ترد عليه.

أما الدول العربية فخذلته وعارضته، فبايات تونس عارضوا مقاومته وتواطؤا ضده لكنهم لم ينالوا شيء سوى وقوعهم تحت سلطة وحماية الفرنسيين سنة 1881م.

أما سلطان المغرب فقد سبب صدمة كبيرة للأمير لأنه تخلى عنه وخذله في أحلك الظروف وأمس الحاجة إليه، ولم يبالي بروابط الدم ووحدة المصير، فقد سانده ودعمه في البداية، ولكن بتدخل الفرنسيين وكثرة دسائسهم انقلب عليه تحت الضغط والتهديد في حالة تقديم المساعدة مرة ثانية، وتعاون مع الفرنسيين ضده لكنهم تحايلوا عليه وفرضوا الحماية على المغرب الأقصى سنة1912م

لكن الشعب الحر الأبي في كل من تونس والمغرب لبى نداء الواجب رغم معارضة حكامه، وساند إخوانه الجزائريين بكل ما أوتي من قوة.

كما لعب الجاسوس الفرنسي ليون روش دورا بارزا في ضرب العلاقات بين الجزائر والمغرب فحاول من جهة القضاء على الأمير، ومن جهة أخرى سعى إلى ربط وتوثيق العلاقات مع المغرب الأقصى، فقد نجح في جميع مهامه التي كلف بها في كل من الجزائر والمغرب وبدأها بالالتحاق

بجيش الأمير والتجسس عليه وضرب دولته من الداخل، وأنهاها بكسب ولاء سلطان المغرب لفرنسا، و القضاء على الأمير من الخارج.

وبنهاية المقاومة لو يستسلم الأمير لظروفه القاهرة، بل واصل جهاده ونضاله ضد المحتل، وبتأزم الأمور بين فرنسا والمغرب أمر السلطان بالقضاء على الأمير سنة 1847م مع القبائل التي تسانده، إضافة إلى إجبار القبائل الجزائرية تحت طاعة لاموريسيار واضطر الأمير إلى التفاوض على الاستسلام، مقابل السماح له بالهجرة إلى الإسكندرية أوعكا مع أتباعه، فوعده لاموريسيار بذلك لكنه أخلف بوعده وتم نقله إلى سجون فرنسا(تولون، بو، وأمبواز) ثم قرر نابليون الثالث إطلاق سراحه، فنفي إلى تركيا أين مكث قليلا ببروصة وبعدها قرر الإقامة في دمشق واستقبل بها استقبالا استثنائيا.

وانجر عن نهاية المقاومة آثار جمة على الجزائر أرض المعركة وكذا شقيقتيها تونس المغرب دخلتا تحت الحماية الفرنسية، أما الجزائر فقد توسع فيها الاستعمار الفرنسي، وبالرغم من استسلام الأمير واصل الشعب الجزائري المقاومة بقيادة باقي الشيوخ والمجاهدين اللذين لم يثنهم شيء عن مواصلة الجهاد في سبيل الله.

وفي الأخير نرجو أن نوفق في الوصول إلى مبتغانا فإن وفقنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا والله المستعان والحمد له على كل حال.

الملاحق

الملحق رقم1: نص عقد البيعة العامة، جمال قنان، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830م-1914م، المرجع السابق، ص ص:48،49.

الملحق رقم2: رسالة سلطان المغرب إلى الأمير عبد القادر، مسعود مجاهد، المرجع السابق، ص ص: 294،295.

الملحق رقم3: معاهدة الأمير عبد القادر- دي ميشيل 1834م، قداش محفوظ، الأمير عبد القادر، فن وثقافة وزارة الاتصال والثقافة، 2000، ص: 30.

الملحق رقم4: معاهدة التافنة. قداش محفوظ، المرجع نفسه، ص: 36.

الملحق رقم 5: رسالة بخط الأمير إلى العالم دي سيفري 1852م، قداش محفوظ، الأمير عبد القادر، فن وثقافة وزارة الاتصال والثقافة، 2000، ص: 51.

الملحق رقم6: رسالة الأمير عبد القادر إلى ملكة إسبانيا إيزابيل الثانية، بوعزيز يحي، بطل الكفاح الأمير عبد القادر الجزائري، مرجع سابق، ص: 56.

الملحق رقم:01

لخواطرهم ورعاية لرفع الظلم ودفعا للفساد والعنف.

"فحضر للبيعة جميع أهل غريس الحشم، شرقي، وغربي، وخالدي، وعباسي، وإبراهيمي، وحساني، وعوفي، وجعفري، وبرجي، وشقراني، وغيرهم كبني السيد دحو، وبني السيد أحمد ابن علي، والزلامطة، ومغراوة، وخلوية، والمشارف، وكافة أهل وادي الحمام.

"وأعلنوا جميعا بطاعته ونصرته والرعاية له، بحيث أنهم يحمونه بما يحمون به أنفسهم وأموالهم. وأن ينصروه نصرا مؤزرا.

"وأتفق علماء الإقليم على بيعته وطاعته. ولم يخالف منهم أحد وهو في حال طوعهم واختيارهم.

"وفرحوا به أشد الفرح نظرا لما كانوا عليه من الضيق والترح، وكل من سمع به من أهل الآفاق يزداد رغبة، وذلك لعلمهم بقوة عقله وشدة نجدته وصلاح رأيه.

"فعلي من بايع أن يبذل جهده في نصرته وعضده، لقوله الصادق الأمين "الدين النصيحة لله ورسوله ولأئمة المسلمين". ومن نكث فإنما ينكث على نفسه.

"حضر ما ذكر من العلماء والأشراف السيد الأعرج، والسيد محمد بن حوا بن يخلف وأخوته. والسيد محمد بن الثعالبي والسيد عبد الرحمن بن حسن الدحاوي وإخوته، والسيد محمد ابن عبد الله بن الشيخ المشرفي وقرابته، وكافة أولاد السيد أحمد ابن علي.

"حاصلة جميع علماء غريس وأشرافه حضروا لهذه البيعة الميمونة ورضوا بها، وحضرها كاتبه محمد بن عبد القادر عامله الله بلطف في الباطن والظاهر.

"في رجب الفرد سنة 1248 هجرية الموافق لـ 27 نوفمبر عام 1832 ميلادية"[9].

الملحق رقم: 02

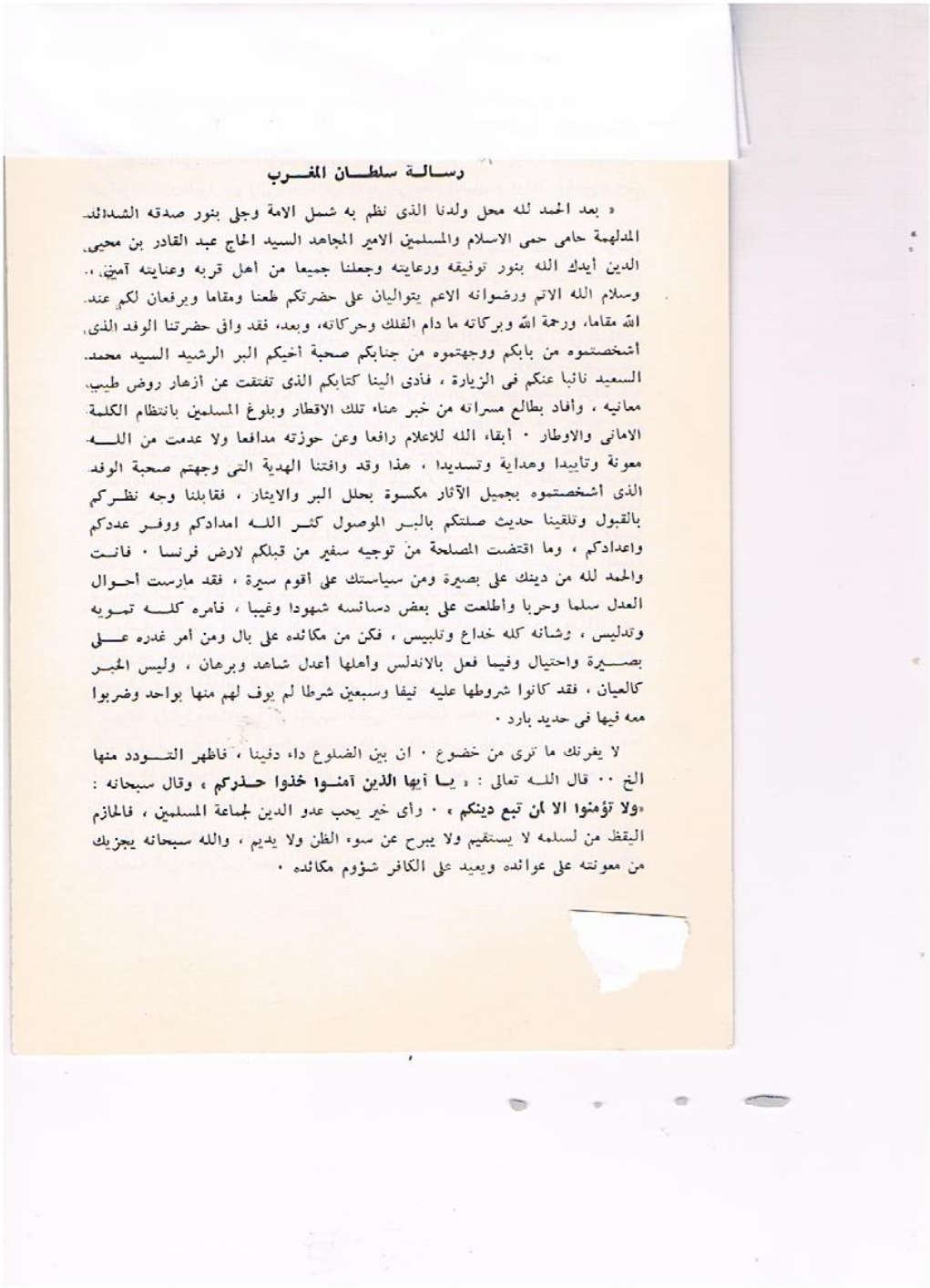

رسالة سلطان المغرب

« بعد الحمد لله محل ولدنا الذى نظم به شمل الامة وجلى بنور صدقه الشدائد المدلهمة حامى حمى الاسلام والمسلمين الامير المجاهد السيد الحاج عبد القادر بن محيى الدين أيدك الله بنور توفيقه ورعايته وجعلنا جميعا من أهل قربه وعنايته آمين ،، وسلام الله الاتم ورضوانه الاعم يتواليان على حضرتكم طعنا ومقاما ويرفعان لكم عند الله مقاما، ورحمة الله وبركاته ما دام الفلك وحركاته، وبعد، فقد وافى حضرتنا الوفد الذى أشخصتموه من بابكم ووجهتموه من جنابكم صحبة أخيكم البر الرشيد السيد محمد السعيد نائبا عنكم فى الزيارة ، فأدى الينا كتابكم الذى تفتقت عن أزهار روض طيب معانيه ، وأفاد بطالع مسراته من خبر هناء تلك الاقطار وبلوغ المسلمين بانتظام الكلمة الامانى والاوطار • أبقاء الله للاعلام رافعا وعن حوزته مدافعا ولا عدمت من الله معونة وتاييدا وهداية وتسديدا ، هذا وقد وافتنا الهدية التى وجهتم صحبة الوفد الذى أشخصتموه بجميل الآثار مكسوة بحلل البر والايثار ، فقابلنا وجه نظركم بالقبول وتلقينا حديث صلتكم بالبر الموصول كثر الله امدادكم ووفر عددكم واعدادكم ، وما اقتضت المصلحة من توجيه سفير من قبلكم لارض فرنسا • فانت والحمد لله من دينك على بصيرة ومن سياستك على أقوم سيرة ، فقد مارست أحوال العدل سلما وحربا وأطلعت على بعض دسائسه شهودا وغيبا ، فأمره كله تمويه وتدليس ، وشأنه كله خداع وتلبيس ، فكن من مكائده على بال ومن أمر غدره على بصيرة واحتيال وفيما فعل بالاندلس وأهلها أعدل شاهد وبرهان ، وليس الخبر كالعيان ، فقد كانوا شروطها عليه نيفا وسبعين شرطا لم يوف لهم منها بواحد وضربوا معه فيها فى حديد بارد •

لا يغرنك ما ترى من خضوع • ان بين الضلوع داء دفينا ، فاظهر التودد منها الخ •• قال الله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم** » ، وقال سبحانه : «**ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم** » • رأى خير يحب عدو الدين لجماعة المسلمين ، فالحازم اليقظ من لسلمه لا يستقيم ولا يبرح عن سوء الظن ولا يديم ، والله سبحانه يجزيك من معونته على عوائده ويعيد على الكافر شؤوم مكائده •

وكيف يسوغ لك التخلي عن الكفاح وقد رفعت بك في ذلك القطر راية الاسلام وارغم بك أنف الكفر وأحزابه ورد كيده على أعقابه ، حتى صار العدو يخفض لك الجناح ، ولولا وجودك وجدك لتصرف أشياع تلك القبائل الاسلامية شذر مذر ، ولافترست كلاب الروم أهله وعمرت عبدة الصليب حزنه وسهله ، ولكن الله سبحانه تداركه باقامتك وسد ثغوره بحمايتك ولن تعدم من الله عونا ومددا ومن صالحي المؤمنين عدة وعددا ·

ونسأل الله أن يجدد بك الآثار والاعلام ويجعلك من الائمة المهتدين ، ويصلح بك وعلى يدك آمين ·

واذا أردت توجيه سفيرلعاريشال قالي فاختره من أهل الدين المتين الذي يمكنه ان يضع الامر في نصابه ويجعل الكافر يعلم انك ذو قوة وان الشعب كل الشعب معك لا عليك ولتكن في اختيارك لمن ينوب عنك من هو في المستوى ، وعلى نائبك ان يقوم بما يفهم منه العدو بانك ذو قوة ولك جنود لا يخافون في الله لومة لائم ، واسع ولا تنس أن تحبب للناس الجهاد أكثر ، والحذر الحذر بان الاوضاع تغيرت ولا تأمن الكثير من البشر ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم · والله تعالى يشد أزرك ويديم نصرك آمين ·

من المولى عبد الرحمن ابن المولى هشام ابن المولى محمد بن المولى عبد الله ابن المولى اسماعيل ·

حرر في أواخر ذي القعدة سنة أربع وخمسين ومائتين بعد الالف ·

الملحق رقم:03

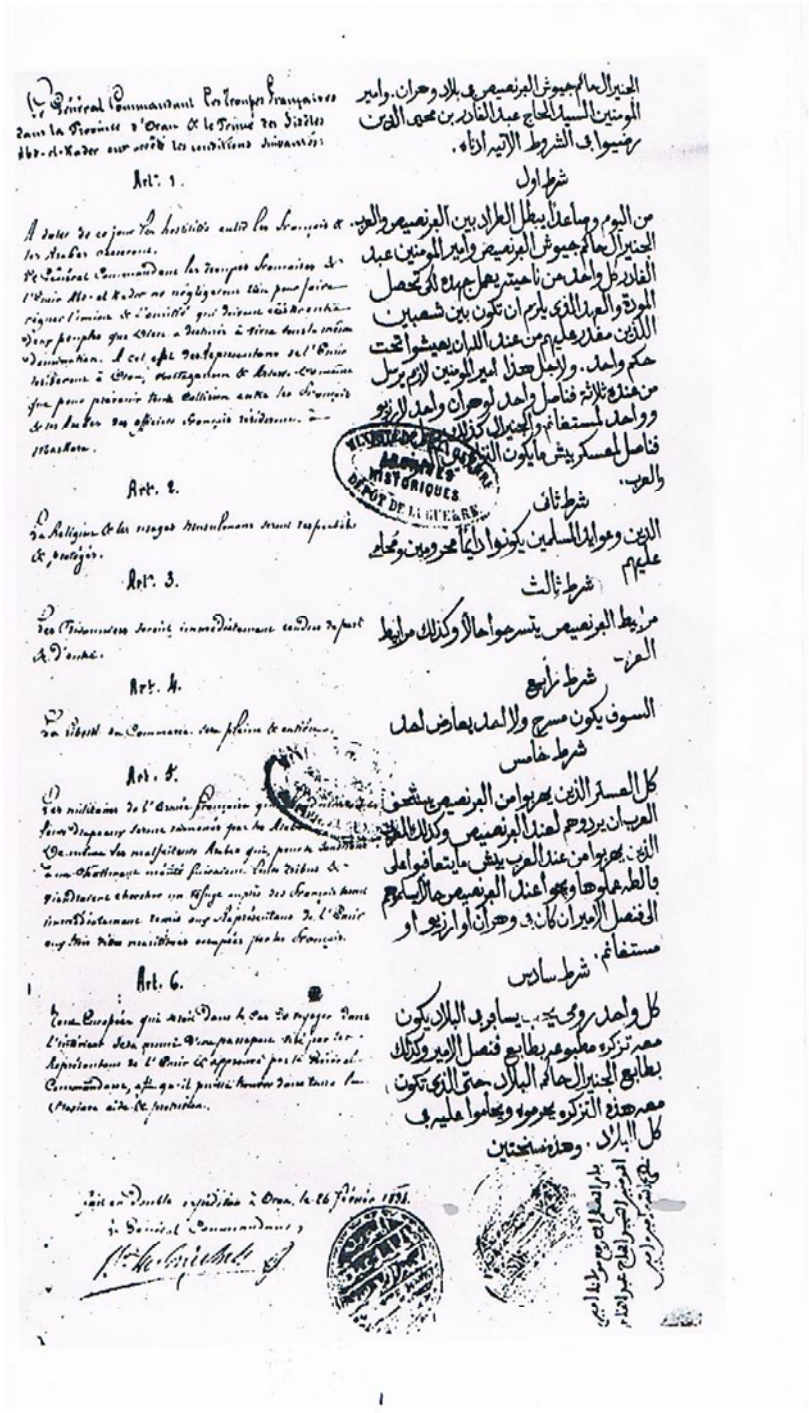

الملحق رقم: 04

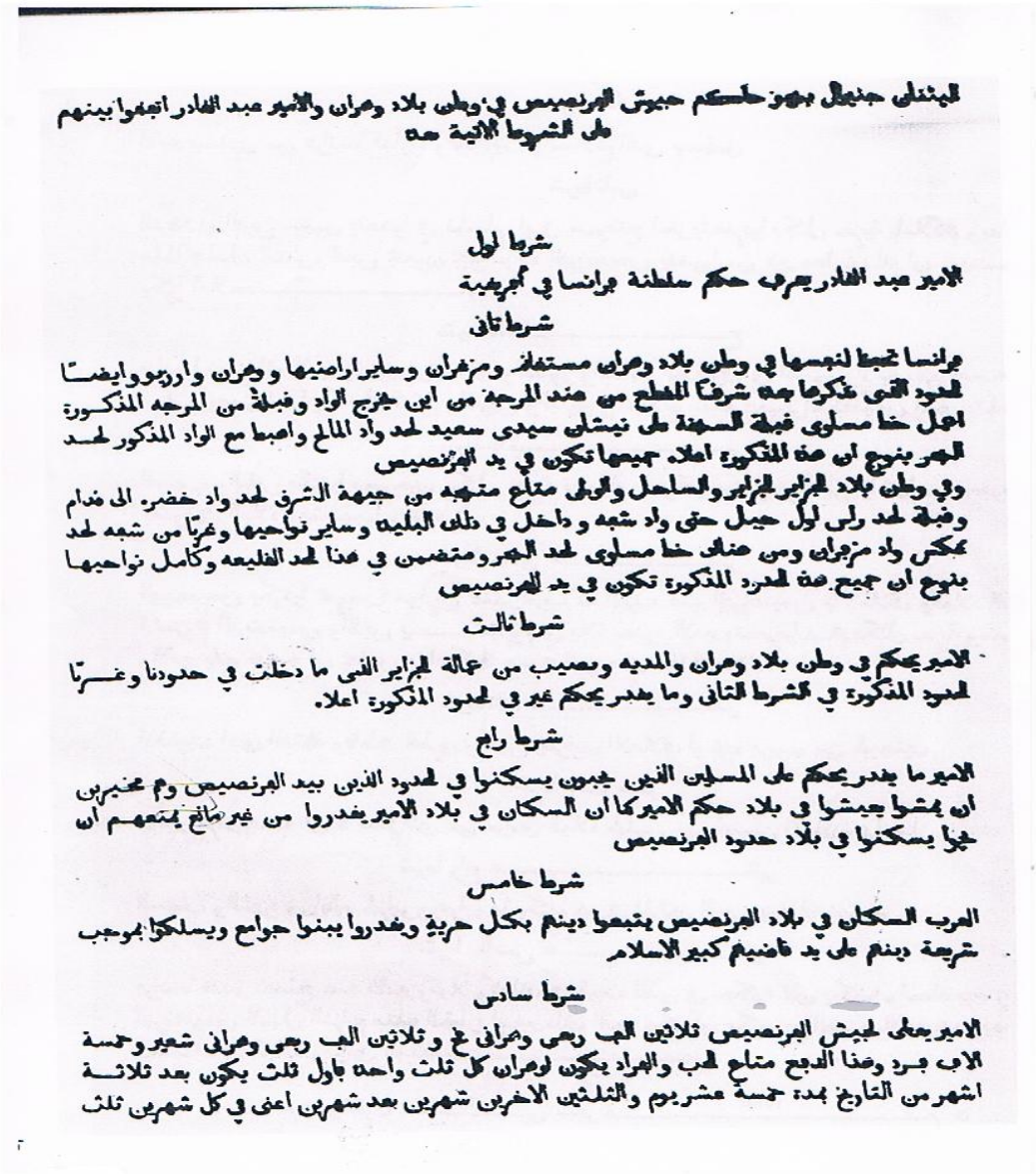

البندقي جنيرال بجهو حاكم جيوش البرنصيص في وطن بلاد وهران والامير عبد القادر اتفقوا بينهم على الشروط الآتية هذه

شرط اول

الامير عبد القادر يعترف حكم سلطنة فرانسا في كمبريطية

شرط ثاني

فرانسا تحيط لنفسها في وطن بلاد وهران مستغانم ومزغران وسايراراضيها و وهران واورنو وايضا الحدود التي ذكرها هذه شرقيا المقطع من عند المرجة من اين يخرج الواد وقبالة من المرجة المذكورة اعلى خط مساوي قبالة السبخة على نيشان سيدي سعيد لحد واد المالح واصبط مع الواد المذكور لحد البحر بنوع ان هذه المذكورة اعلاه جميعها تكون في يد البرنصيص

وفي وطن بلاد الجزاير الجزاير والساحل والوطن متاع متوجه من جيهة الشرق لحد واد خضره الى هدام وقبالة لحد راس لول حيال حتى واد شعبه و داخل في ذلك البليدة وسايرنواحيها وغربا من شعبه لحد بحكس واد مزغران ومن هناك خط مساوي لحد البحر ومتضمن في هذا لحد الفليعه وكامل نواحيها بنوع ان جميع هذه الحدود المذكورة تكون في يد البرنصيص

شرط ثالث

الامير يحكم في وطن بلاد وهران والمديه ومصيب من عمالة الجزاير الغني ما دخلت في حدودنا وغيرنا الحدود المذكورة في الشرط الثاني وما يقدر يحكم غير في الحدود المذكورة اعلاه.

شرط رابع

الامير ما يقدر يحكم على المسلمين الذين يجبون يسكنوا في الحدود الذين بيد البرنصيص وهم مخيرين ان يمشوا يعيشوا في بلاد حكم الامير كما ان السكان في بلاد الامير يقدروا من غير مانع يمنعهم ان جيا يسكنوا في بلاد حدود البرنصيص

شرط خامس

العرب السكان في بلاد البرنصيص يتبعوا دينهم بكل حرية ويقدروا يبنوا جوامع ويسلكوا بموجب شريعة دينهم على يد قاضيهم كبير الاسلام

شرط سادس

الامير يعطى لجيش البرنصيص ثلاثين الف ربعي وهراني فخ و ثلاثين الف ربعي وهراني شعير وخمسة الاف قرد وهذا الدفع متاع الحب والقراد يكون لوهران كل ثلث واحد باول ثلث يكون بعد ثلاثة اشهر من التاريخ بعدة خمسة عشر يوم والثلثين الاخرين شهرين بعد شهرين اعني في كل شهرين ثلث

شرط سابع

الامير يشترى من فرانسا البارود والكبريت والسلاح الذى يستحق

شرط ثامن

الفرنكلان الذين يحبون يقعدوا في تلمسان او في موضع اخر يتصرفوا بكل حرية باملاكهم ويعا
مثلما يعامل الحضر والذين يحبون يجوا لبلاد العرنصيص يقدروا من غير معارض لهم ان يبيعو
يكونوا املاكهم

شرط تاسع

فرانسا تسلم الى الامير رشفون وتلمسان والمشور والمبايع السابقين في المشور والامير يلزم نفسه
يرجد ويوصل لوهران كامل القش والعوين والبارود والسلاح متاع عسكر العرنصيص الذى يتلم

شرط عاشر

السبب والتجر يكونوا مسرحين بكل حرية بين العرب والعرنصيص ويقدروا يمشوا من حدود
حدود في البلاد ويتسببوا ويتاجروا

شرط حادى عشر

العرنصيص يكونوا محرومين موفرين عند العرب كما العرب عند العرنصيص بالاملاك والبلاد الل
اشتروهم العرنصيص والذين بشتروهم في بلاد حدود الامير يتصرفوا بهم بكل حرية وضم
والامير يلزم نفسه ان يخلص بزيادة كلما يهسة العرب في هذا الاملاك

شرط ثانى عشر

المذنبين اعنى القتلة وقاطع الطرق والذين يحرقون الاملاك او غيره يردون من الجيهتين

شرط ثلث عشر

الامير يلزم نفسه ان لا يسلم شى من مراعى البلاد لجنس من الجنوس الا باذن فرانسا

شرط رابع عشر

السبب والتجر في اقليم الجزاير ووهران ما يكون غير في المراعى الذين بيد العرنصيص

شرط خامس عشر

فرانسا تقدر تصنع عند الامير وكيلا وكذلك في البلاد الذى في حكمه لان يكونوا واسطة بين ي
العرنصيص لاجل النزاع متاع التجارة او غير ذلك الذى يمكن ان يكون مع العرب والامير يقدر يص
كذلك في البلاد ومراعى العرنصيص

كتب برشفون في ٢٤ صفر عام ١٢٥٣

الملحق رقم:05

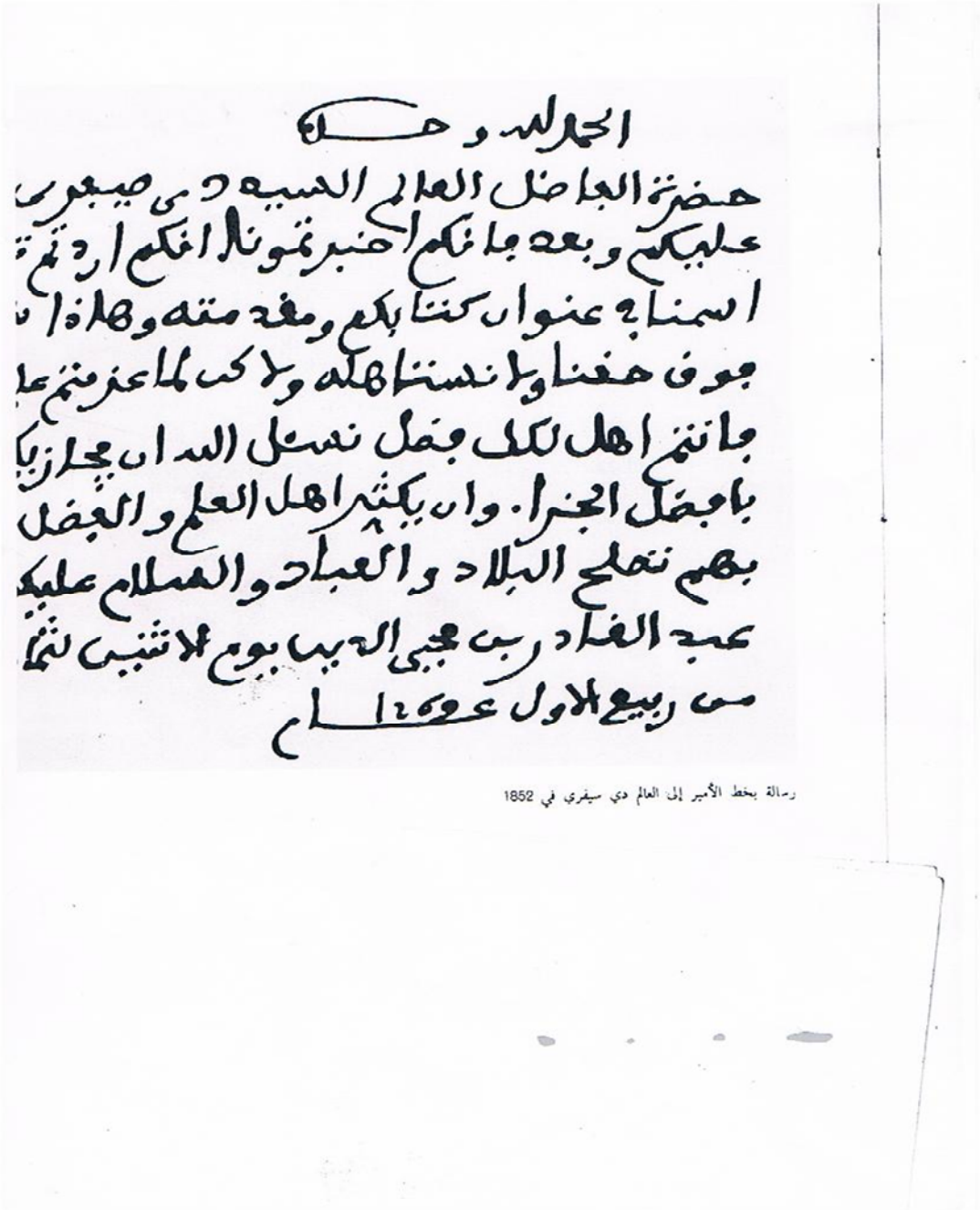

الحمد لله وحده

حضرة الفاضل العالم السيد دي صيفري

عليكم وبعد فانكم اخبرتمونا انكم اردتم

اسمناه بعنوان كتابكم ومفهمته وهاذا

جوف حفنا ولا نسناهله ولاكن لما عزمتم عل

جانتم اهل لكل فضل نسئل الله ان يجازيك

باجمل الجزا. وان يكثر اهل العلم والفضل

بهم تصلح البلاد والعباد والسلام عليك

عبد القادر بن محيي الدين يوم الاثنين ثامن

من ربيع الاول عام ١٢٦٨

رسالة بخط الأمير إلى العالم دي سيفري في 1852

الملحق رقم: 06.

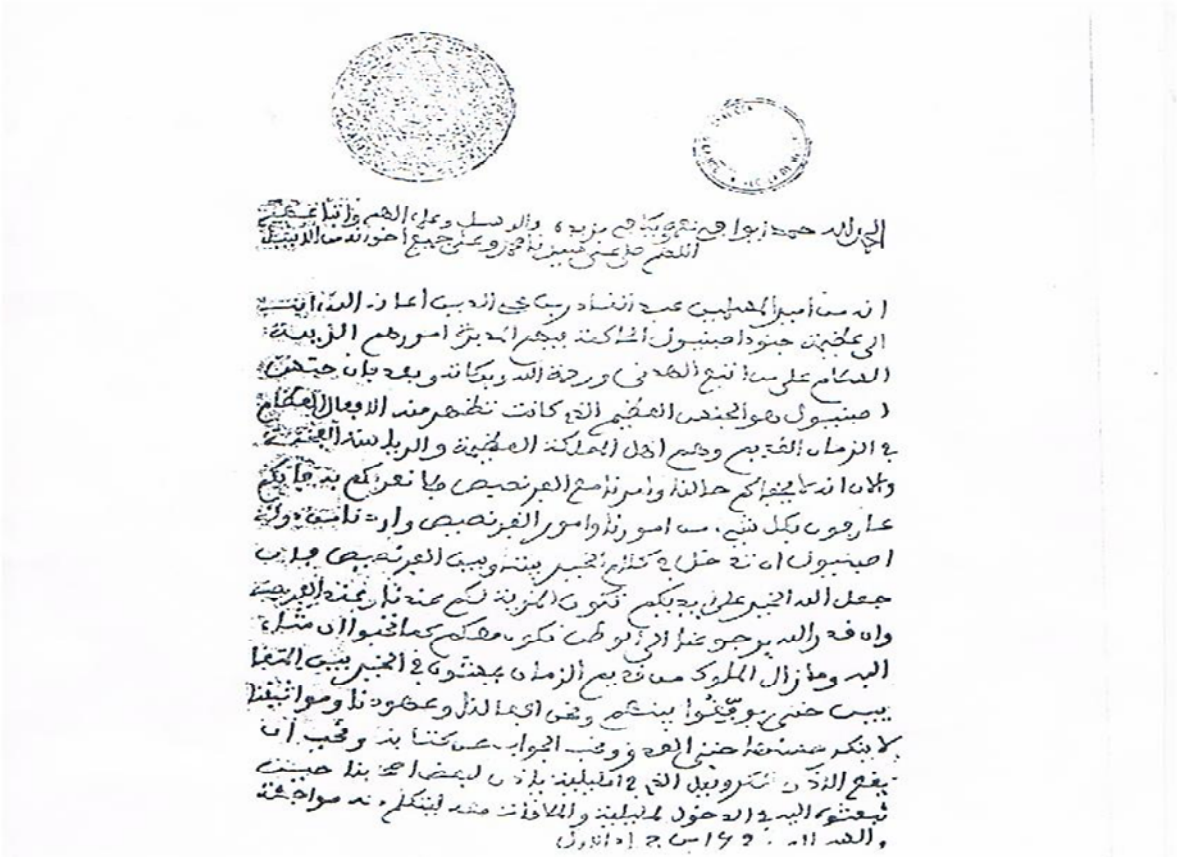

الرسالة رقم 13 من الأمير عبد القادر إلى ملكة أسبانيا إيزابيل الثانية

بتاريخ 16 جمادي الأولى 1263هـ

قَائِمَةُ المَرَاجِع

-القرآن الكريم.

قائمة المراجع باللغة العربية:

1. الأشرف مصطفى، الجزائر الأمة والمجتمع، تر :حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر الجزائر2007.
2. أوصديق فوزي، النظام الدستوري الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
3. بركات محمد مراد ، الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي، دار النشر الالكتروني، جامعة عين شمس.
4. برونو اييتين، الأمير عبد القادر الجزائري، تر،مييشل خوري، دار عطية للنشر ، ط1 لبنان 1997.
5. بلعربي خالد، تاريخ الجزائر لحديث والمعاصر، دار الألمعية، ط1، 2010.
6. بوحوش عمار ، تاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، دار الغر الإسلامي، ط2، 2005.
7. بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، 1997.
8. بوطالب عبد القادر، الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية من الأمير عبد القادر إلى حرب التحرير، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009.
9. بوعزة بوضرساية ، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830م /1930م وانعكاساتها على المغرب العربي، دار الحكمة، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر ،2010.
10. بوعزيز يحي: الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري سيرته الذاتية وجهاده، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2009.

11. بوعزيز يحي، بطل الكفاح الأمير عبد القادر الجزائري، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر،2009.

12. بوعزيز يحي، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر ،2009.

13. تشرشل شارل هنري، حياة الأمير عبد القادر، تر ، تع، تق: سعد الله أبو القاسم ، الدار التونسية للنشر ،تونس.

14. الجزائري الحسني بديعة ، ناصر الدين الأمير عبد القادر بن محي الدين سيرته المحمدية في حقبة التاريخ، مطبعة السلام ط2،دمشق، 1992.

15. الجزائري عبد القادر، المرجع السابق، ص: 46. أنظر، بن التهامي مصطفى ، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تح، تق، تع، يحي بوعزيز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

16. الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج4، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

17. الجيلالي عبدالرحمان بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج4،دار الأمة للنشر والتوزيع، 2010. أ، ف، دينيزن، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر، تر، تق: أبو العيد دودو، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

18. حرب أديب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر(1808م-1847م)، ج1، ج2، دار الرائد للكتاب، الجزائر.

19. خوجة حمدان بن عثمان ، المرآة، تق،:تع: تح: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، .2008

20. دردار فتحي، الأمير عبد القادر الجزائري بطل المقاومة الجزائرية1847/1832، الجزائر 2001.

21. سايح بوعلام، أعلام المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي بالسيف والقلم1830م-1954م، م1، تع: خليل أحمد خليل، مؤسسة النشر والإشهار، الجزائر، 2010.

22. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ق 1،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر، 1992.

23. سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط4، بيروت 2005.

24. الشقراني أحمد بن عبد الرحمن الراشدي، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تح، تق: سعيدوني ناصر الدين، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1991

25. شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا-تونس- الجزائر- المغرب)، مكتب الأنجلو المصرية، ط1، القاهرة، 1977.

26. عبد الرزاق بن سبع ، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين ،2000 .

27. عدة بن داهة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830م/1962م، ج2، 2008.

28. علي عامر محمود، تاريخ المغرب العربي المعاصر، دمشق، 1997.

29. عمورة عمار ، دواودة نبيل ، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962، ج1، دار المعرفة، الجزائر.

30. فؤاد الصالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

31. فركوس صالح، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر1830 م/1925م، ديوان المطبوعات الجامعية، قالمة، 2010.

32. فركوس صالح، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينقيين إلى خروج الفرنسيين(814 ق م، 1962)، دار العلوم للنشر والتوزيع.

33. كارل بيرنت يوهان، الأمير عبد القادر، تر، تق: دودو أبوالعيد ، دار هومه، الجزائر، 2009.

34. لعربي إسماعيل، مقاومة الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982.

35. لناصري أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى،ق3، ج9، تح، تع : جعفر الناصر، محمد الناصر، دار البيضاء، دار الكتاب، 1956.

36. المدني أحمد توفيق، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

37. مناصرية يوسف، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832-1847، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990.

38. منور العربي ، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، دار المعرفة الجزائر،

39. مياسي إبراهيم، لمحات... من جهاد الشعب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2007.

40. الوزير محمد السيد علي، الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته وأدبه، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

41. Colonel Paul Azan. L'Émir Abd el Kader 1808-1883. Du fanatisme musulman au patriotisme français 1925.

المذكرات:

1.جلول المكي، مسألة الحدود بين الجزائر و المغرب 361إلى 1263ه/1234-1847 م مذكرة ماجستير، إشراف: مولاي بالخميسي،جامعة الجزائر، معهد التاريخ، 1993.

2.سكفالي مفيدة، يوميات الشيخ العلامة الحفناوي بديار، تح ودراسة القسم الخاص والأمير عبد القادر مذكرة ماجيستر، علاوة عمار، جامعة منتوري قسنطينة 1430، 1431هـ/ 2009، 2010م

المجـــلات:

1.الأصالة، يحي بوعزيز، مواقف بايات تونس من الأمير عبد القادر وثورته، العدد23، الجزائر جانفي، فيفري 1975.

2.الأصالة، يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر ومشروع قناة قابس والبحر الإفريقي، العدد 25، ماي، جوان 1975.

3.مجلة أول نوفمبر، شعابنة عبد الحميد، الأمير عبد القادر المجاهد المثقف والسياسي الفارس عدد 165، 2001.

4.مجلة الثقافة، بوعياد محمد «عبد القادر الانسان، العدد 75، 1983.

5.مجلة الصادر، أبو العمران سامية، الأمير عبد القادر الجزائري رمز المقاومة الجزائرية، بمصدرها المركز الوطنية للدراسات والبحث للحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، العدد11، س1 الجزائر، 2005..

الفهارس

- فهرس الأماكن
- فهرس الأعلام
- فهرس الموضوعات

فهرس الأماكن

المكان	الصفحة
سيدي فرج	6
تيطري	6 14
قسنطينة	6
وهران	6 12 13 21 22 23 29
تلمسان	6 7 25 29 63
معسكر	6 12 34 37 58 63
المرسى الكبير	6 7 14
غريس	7 12 21 27 29
إسبانيا	13
خصيبة	28
مستغانم	47
أرزيو	58
باريس	52 69
الاسكندرية	83 87
أورليان	84
تازة	41

فهرس الأعلام

الأعلام	الصفحة
السلطان عبد الرحمن	7 43 64 75
مولاي عبد الرحمن	7
محي الدين	7 12 21 22 25 27 64
بوتان	10
دي بولمون	13
كلوزيل	13 16 44
شارل	10
مصطفى بومرزاق	14 15
بير تيزان	14 16
بوابيه	14 29
ابن العنابي	15
عبد القادر الجيلالي	20
دور فيقو	29
البوحميدي	29

مصطفى التهامي	34
المزروالي	39
دي ميشيل	43 50
تريزيل	44
بيجو	45 46 58 68 74 76
أحمد باي	46 48
لاموريسير	51 57 75 82
تشرشل	53
دورمان هاي	58 59
وليام الرابع	58
دوماس	84
عليش	62
نابليون الثالث	63

فهرس الموضوعات

دليل المختصرات المستعملة

إهداء

شكر وعرفان

مقدمة ..... أ

المدخل.....6

الفصل الأول: حياة الأمير عبد القادر وبناء الدولة الحديثة.....19

المولد والنشأة.....20

مبايعة الأمير عبد القادر.....25

بناء الدولة الحديثة.....31

معاهدات الأمير وبعض معاركه 43

الفصل الثاني علاقات دولة الأمير عبد القادر ونهاية المقاومة وأثرها على المغرب العربي 56

علاقات الأمير بالدول الأجنبية. 58

علاقات الأمير مع الدول العربية. 61

نهاية المقاومة.....82

أثرها على المغرب العربي.....91

خاتمة 94

الملاحق 101

قائمة المراجع 111

فهرس الأماكن 117

فهرس الأعلام 118

فهرس الموضوعات 120